

قِيسَات من سِيرَة

# الإمام على عليه السلام

أيوب الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

يكفي لأي إنسان منصف أن يُلقى نظرة سريعة على حياة ومواقف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليخرج بنتيجة واضحة من أن هذا الرجل العظيم ذو شخصية فذة وفريدة لا يقاس به أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق غالبية علماء المسلمين.

ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أعرض أهم الحوادث التي تخص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو التي كان له عليه السلام فيها دور بارز، بهدف إعطاء صورة عامة عن تلك الشخصية العظيمة من خلال عرض هذه الحوادث التاريخية في ثوب جديد، وقد أسميته (قبسات من سيرة الإمام علي عليه السلام)، تطرقت فيه إلى مواقفه وأدواره في الإسلام واحداً تلو الآخر، من بداية البعثة النبوية حيث كان أول من آمن بالنبى محمد صلى الله عليه وآله ورسالته الخالدة وهو في العقد الأول من عمره، ثم مشاركته مع النبي صلى الله عليه وآله في السنوات الثلاث من الدعوة السرية ومؤازرته له في العلنية منها التي بدأت بالأقربين في قصة يوم الإنذار المشهورة وحضوره عليه السلام معه صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب وسفره إلى الطائف، وتنتهي أدواره عليه السلام في العهد المكي بمنامه عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليسلم صلى الله عليه وآله من الأعداء، عند هجرته إلى يثرب، ثم إلتحاق الإمام به.

وأما في العهد المدني فلا ريب أن مشاركته الفاعلة في الغزوات والمواطن الخطرة التي قلَّ أن يثبت فيها أحد، تُعدُّ الأبرز والأهم فكان يواجه تلك الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وخفقت عندها القلوب فأصبح المثل الأعلى في هذه الساحة التي لولاه لما استقام الدين الحنيف، وقد أسهمت تلك المواقف في ترسيخ أسس الحضارة الإسلامية وبناء هذا الكيان الرسالي الشامخ.

وبانتهاء العهد المدني بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله يأتي عهد الخلفاء حيث عُرف الإمام خلاله بالمسالمة والصبر وفق ما تقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، حيث يقول عليه السلام: «...لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلا على خاصة...»<sup>(١)</sup>، فرغم أن الإمام عليه السلام كان يرى محله من الخلافة محل القطب من الرchy ولكن سالم وصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى، على حد تعبيره،<sup>(٢)</sup> مدة ربع قرن، وفي هذه الفترة اجتهد الإمام عليه السلام في جمع القرآن الكريم مشعل هداية

(١) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

(٢) في خطبته الشقشقية المعروفة في نهج البلاغة.

الأمة الإسلامية استمراراً لمهام الرسالة في تلك الظروف العصيبة، ولم يقف مكتوف اليد أمام التطورات المتسارعة التي كانت الأمة تشهدها بل ساهم في إدارة شؤونها بكل إخلاص، إلى أن حان الوقت لكي تعود الأمة إلى رشدتها وتعرف إمامها فالتجأت إليه تسلم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب الصعاب فحمل عبء الخلافة وقيادة الأمة بكل جدارة وحكمة خلال نصف عقد، حارب فيها الناكثين والقاسطين والمارقين وأقام العدل بين الناس وأحيا السنة وأعاد للإسلام عزته وشوخته ورسالته المحمدية الأصيلة.

وهكذا نسير مع تاريخ حياة هذا الإمام العظيم ودوره الرائد في الإسلام حتى ننتهي إلى شهادته يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان من السنة الأربعين للهجرة حيث كان يصلي لربه في محراب مسجد الكوفة، فكفاه فضلاً وشرفاً أن يكون وليد الكعبة وشهيد المحراب وما بينهما حياة مملوءة بالمواقف المشرفة من البطولات والتضحيات في سبيل الله ونصرة رسوله المصطفى ﷺ. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يسقي محبيه وأتباعه من حوض رسول الله ﷺ لتشملهم الشفاعة بإذن الله تعالى.

وفي نهاية المطاف أشكر الله حيث وفقنا لعرض هذه المناسبات العلوية وتقديمها إلى القراء الأعزاء وإلى جميع من يريد التعرف على تاريخ حياة ذلك الإمام الهمام وأدواره ومواقفه المشرفة في الإسلام، كما أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب سائلين المولى القدير لهم حسن القبول، واستمرار التوفيق، لخدمة شريعة سيد المرسلين ومذهب أهل بيته الطاهرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أيوب الحائري

١٨ / ذي الحجة / ١٤٣١ هـ

يوم غدیر خم، ذکرى ولاية الإمام علي عليه السلام

## القبس الأول

الإمام علي عليه السلام ووليد الكعبة وربيب النبي صلى الله عليه وآله

( ١٣ رجب / السنة ١٠ قبل البعثة )

ولد الإمام علي عليه السلام في اليوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وكانت ولادته في مكة المكرمة في البيت الحرام وسط الكعبة الشريفة، وهي منقبة لم تكن لأحد قبله ولم تتفق لأحد بعده، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فهو هاشمي الأب والأم وكان أول من ولد من هاشميين<sup>(١)</sup>.

وتطرق السيد الحميري من شعراء القرن الثاني إلى هذه المفخرة بإنشاده:

ولدت في حرم الإله وأمنه	والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد

وإليك بيان هذه الواقعة من النصوص التاريخية:

قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: «رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي». قال يزيد بن قعنب، فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع، ويدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: ... فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمة سميه علياً...، وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم، وتقدم من بينهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله فضمه إلى صدره، وحمله إلى بيت أبي طالب - حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمه منذ زواجه - وانقذح في ذهن أبي طالب أن يسمي وليده «علياً» وهكذا سماه، وأقام أبو طالب وليمة على شرف الوليد

(١) خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي: ٣٩، الغدير للأميني ٦: ٢٢.

المبارك، ونحر الكثير من الأنعام<sup>(١)</sup>.

### الإعداد النبوي للإمام علي عليه السلام

كان النبي ﷺ يتردد كثيراً على دار عمه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً عليه السلام بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله على صدره، ويحرك مهده عند نومه إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية<sup>(٢)</sup>.

وكان من نعم الله عز وجل على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له وأراد به الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس - وكان من أيسر بني هاشم -: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحداً، فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عنا الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فضمه إليه وكان عمره يومئذ ستة أعوام، وأخذ العباس جعفرأ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي عليه السلام فأمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه<sup>(٣)</sup>.

وقد قال رسول الله ﷺ بعد أن اختار علياً عليه السلام: «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا آن لعلي عليه السلام أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمد رسول الله ﷺ حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماوية السامية، ونهل من ينابيع مودته وحنانه، ورباه ﷺ وفقاً لما علمه ربه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن مربيه الأعظم النبي الأكرم ﷺ ومداها وعمق أثرها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة:

«... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ

(١) بحار الأنوار ٣٥: ١٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٥: ٤٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٨، كشف الغمة ١: ١٠٤، موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٥١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥، نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كِذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أُرِي نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أُرَى إِلَّا أَنْتَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلِي خَيْرٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة رقم ١٩٢.

## القبس الثاني

### الإمام علي عليه السلام أول المؤمنين بالنبي ﷺ

(السنة الأولى للبعثة)

إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام والذي تربَّى في حجر الرسول ﷺ لم يسجد لصنم قط، ولم يُشرك بالله طرفة عين، وعندما نزل الوحي على رسول الله ﷺ كان علي عليه السلام إلى جانبه، وكان أول من آمن برسالته ﷺ كما شهدت بذلك المصادر التاريخية المعتمدة<sup>(١)</sup>.

وعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلا بخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في علي ثلاث خصال، وددت أن لي واحدة منهن، كل واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، وذلك أني كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ إذ ضرب النبي على كتف علي بن أبي طالب وقال: يا علي، أنت أول المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، كذب من زعم أنه يحبني وهو مبغضك»<sup>(٢)</sup>، كما روي عن سلمان الفارسي أنه قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ الحوض، أولها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك قال: أنزلت النبوة على رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء<sup>(٤)</sup>، وقد صرح الإمام عليه السلام بأنه أول من صلى بعد رسول الله ﷺ قائلاً: «لم يسبقني إلا رسول الله بالصلاة»<sup>(٥)</sup>.

(١) من مصادر حديث أن علي بن أبي طالب أول من أسلم: سنن البيهقي ٦: ٢٠٦، ومسنند أبي حنيفة: ١٧٣ رقم ٣٦٨، وتاريخ الطبري ٢: ٥٥ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التاريخ ٢: ٥٧، وأسد الغابة ٤: ١٦، تاريخ ابن خلدون ٣: ٧١٥، بدء الوحي والسيرة النبوية ١: ٢٦٢، والسيرة الحلبية ١: ٤٣٢، ومروج الذهب ٢: ٢٨٣، وعيون الأثر ١: ٩٢، والإصابة في معرفة الصحابة ٢: ٥٠٧، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ١٨.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٢٦، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٣٣١.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة ٣: ٢٩، وتاريخ الطبري ٢: ٥٥ وفيه: علي أول من أسلم، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٣٦٣، ٦٥ ذكر أن علياً أول من أسلم.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٤١، والكامل في التاريخ ٢: ٥٨، وتاريخ الطبري ٢: ٥٥، وسنن الترمذي ٥: ٦٠٠ ح ٣٧٣٥.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١. وشرح نهج البلاغة ٨: ٢٦٣ الخطبة ١٣١. بحار الأنوار ٣: ١١٠ باب ٣١.

وإذ اتفق المؤرخون على أن أمير المؤمنين عليه السلام أول الناس إسلاماً؛ فقد اختلفوا في سنه حين أعلن إسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام عليه السلام حين إسلامه لا يجدي نفعاً بعد أن عرفنا أنه لم يكفر حتى يسلم ولم يشرك حتى يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: «ولدت علي الفطرة» ومن هنا اتفقت كلمة المحدثين جميعاً على احترام هذه الفضيلة وتقديسها بقولهم له حين ذكره «على كرم الله وجهه» .

قال الأستاذ العقاد وهو يتحدث عن الإمام علي عليه السلام: لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الأصنام، فهو قد تربى في البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة من صلاة النبي صلى الله عليه وآله وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأمه <sup>(١)</sup>.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وهما أول من صلى وركع <sup>(٣)</sup>.

ولم يؤمر الرسول صلى الله عليه وآله بإعلان رسالته حتى ثلاث سنوات بعد البعثة، ولم يؤمن به خلال هذه الفترة إلا القليل وكان الإمام علي بن أبي طالب هو أول المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى <sup>(٤)</sup>.

ولما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>، دعا علي عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله أربعين شخصاً من أقربائه، منهم أبو لهب، والعباس، وحمزة، وأعد طعاماً لا يكفي إلا لشخص واحد، ولكن شبع الجميع بهذا الطعام بإرادة الله، دون أن ينقص منه شيء، وحين أراد النبي صلى الله عليه وآله دعوتهم للإسلام قال أبو لهب (لقد سحركم محمد) وقد أدى هذا الكلام لتفرق الجميع.

فاضطر النبي صلى الله عليه وآله لدعوتهم في يوم آخر، وبعد تناول الطعام، تكلم الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا بني عبد المطلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير

(١) عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ٤٣، وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه الغدير ٣: ٢٢٠-٢٣٦ ما يربو على ٦٦ حديثاً في أسبقية إسلام الإمام علي عليه السلام.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٨٥.

(٤) راجع سيرة ابن هشام ١: ٢٤٥، الغدير ٣: ٢٢٠-٢٤٠، وغيرها من الكتب المعروفة.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.



الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال فأحجم القوم عنها جميعاً إلا علياً عليه السلام، فإنه نهض، مستجيباً لنداء النبي صلى الله عليه وآله، وكرّر النبي صلى الله عليه وآله ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة لم ينهض أحد إلا علي عليه السلام، وبعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>(١)</sup>، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

### القبس الثالث

#### مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله

(١ ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة)

في الليلة التي عزم فيها النبي صلى الله عليه وآله على الهجرة إلى المدينة، حيث أخبره ربه بمكيدة قريش لقتله، وأمره أن يأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه، فما كان من علي عليه السلام غير أن سأل: أو تسلم بمبיתי هناك يا نبي الله؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم، فأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله، ونام على فراش النبي صلى الله عليه وآله واشتمل ببرده الحضرمي، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٢)</sup>.

وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، وهم يحسبونه رسول الله، وعلي عليه السلام يتصور - أي يتلوى - ويتقلب - وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، فهجموا عليه، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتصوا السيوف، وأقبلوا عليه، وثب في وجوههم فأجفلوا أمامه، وتبصروه فإذا علي، فقالوا: وإنك لعلي؟ قال: أنا علي، قالوا: فما فعل صاحبك، فقال: وهل جعلتموني عليه حارساً<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد: أن الله تعالى أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأياكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله إليهما ألا كتتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا

(١) تاريخ الطبري ٣: ١١٧١، كذلك مجمع البيان ٧: ٢٠٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٣٤، وكما كان علي عليه السلام من قبل يُسارع على الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبي صلى الله عليه وآله، لمّا كان في الشعب، ولم يكنف علي عليه السلام بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشعب إلى مكة سرّاً ليأتي بالطعام إلى المحاصرين (راجع البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦).

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٣٥، ومجمع الفوائد ٩: ١٢٠.

إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ينادي: بخٍ بخٍ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة، فأنزل الله تعالى الآية<sup>(١)</sup> ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الإسكافي: «وقد روى المفسرون كلهم. أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش»<sup>(٣)</sup>.

وقد أنكر ابن تيمية نزول هذه الآية في مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله، فقال على ما نقله عنه الحلبي في سيرته إنه قد حصلت له الطمأنينة بقول النبي الصادق عليه السلام له: «لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»، فلم يكن فيه فداء النفس، ولا إثارة بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية بالاتفاق، وقد قيل: إنها نزلت في صهيب لما هاجر<sup>(٤)</sup>.

وقد رد على قوله الكثير من الأعلام وخلاصته:

أولاً: إن ما ذكره من قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين مبيته: «لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»، غير موجود في الرواية، فقد علق على ذلك الحلبي بقوله: «لكنه في الإمتاع لم يذكر أنه عليه السلام قال لعلي ما ذكر، أي لن يصل..، وعليه فيكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً، نعم ذكر النبي صلى الله عليه وآله ذلك له بعد ما خرج وصاحبه من غار ثور باتجاه المدينة وأمر علياً أن يعود إلى مكة ليؤدي الأمانات إلى أهلها ويأتيه بالفواطم»<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: إن سورة البقرة وإن كانت مدنية، ولكن هذه الآية باعتراف الجميع مكية، ومجرد كون هذه الآية مكية لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية، لأن الحكم يكون للغالب<sup>(٦)</sup>.

ثالثاً: أما نزولها في صهيب فخطأ كبير، لأنّ الحادثة التي يروونها فيه، وفي نزول الآية فيه عارية عن الصحة، للاختلاف الكبير في نقلها ومضمونها، ومن أراد الوقوف على المزيد من تفاصيلها فليراجع

(١) أسد الغابة ٤: ٢٥، تاريخ يعقوبي ٢: ٣٩، كفاية الطالب: ٢٣٩، شواهد التنزيل ١: ٩٧، تذكرة الخواص: ٣٥، المناقب

للخوارزمي: ٧٤، التفسير الكبير ٥: ٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن ٣: ٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٢.

(٤) السيرة الحلبيّة ٢: ٢٧.

(٥) سيد المرسلين ١: ٦٠٢-٦٠٣.

(٦) راجع السيرة الحلبيّة ٢: ٢٧.

(الإصابة) في ترجمة صهيب، و(السيرة الحلبية ٢: ٢٣).

### معطيات الفداء

ولفداء علي عليه السلام بنفسه معطيات كثيرة ينبغي الالتفات إليها:

أولاً: إنَّ الإسلام يستحق أبلغ التضحيات، وأعظم وأثمن ما عند الإنسان وهي حياته، وأولاده وكل غال ونفيس، ولذا ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن موقف الأمير عليه السلام في فداءه النبي ﷺ بحياته ووجوده يعطي تحرره من قيود الدنيا وعبوديتها، واستعداده الدائم للقاء ربّه تعالى في سبيل دينه.

ولم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصبية إلا من ملك قلباً شجاعاً، ووعياً رسالياً، وحباً متفانياً لله ورسوله ﷺ، ذلك هو علي ابن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

## القبس الرابع

### هجرة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة المنورة

( ٥ ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة )

وصل النبي ﷺ في هجرته من مكة إلى قرية قباء من ضواحي يثرب وكان ذلك يوم الثاني عشر من ربيع الأول من سنة ثلاث عشرة من المبعث فأقام فيها عدة أيام منتظراً قدوم ابن عمه وأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أمره أن يلتحق به هو مع الفواطم، وكان قد ألح أبو بكر عليه لكي يدخل المدينة في ليلته إلا أن النبي ﷺ قال له: «ما أنا بداخلها حتي يقدم ابن عمي وأخي وابنتي»، يعني علياً وفاطمة عليهما السلام<sup>(١)</sup>. ولما أمسى فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي النبي ﷺ في قباء نازلاً على كلثوم ابن الهدم، ينتظر لحوق الإمام علي عليه السلام والفواطم به ليدخلوا المدينة معاً<sup>(٢)</sup>.

وخرج الإمام علي عليه السلام بالفواطم، وهن: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أم علي عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره علي عليه السلام بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أربع عليك، فإن رسول الله ﷺ قال لي: يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه»<sup>(٣)</sup>. وأدركهم الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس متلثمون، وثامنهم مولى للحارث بن أمية يدعى جناحاً، فأنزل علي عليه السلام النسوة، وأقبل على القوم منتضياً السيف، فأمره بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. فقال علي عليه السلام: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله ﷺ يثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما. ثم سار فنزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم علي عليه السلام

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٤ : ٨٨ .

(٢) المصدر السابق، وراجع سيد المرسلين ١ : ٦٠٢ .

(٣) هذه الكلمة قالها النبي له بعد خروجه من غار ثور لا عند مبيته كما توهمه ابن تيمية .

صلاة الفجر، ثم سار بهم، فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل حتى قدم قباء.

ولما بلغ النبي ﷺ قدوم علي، قال: ادعوا لي علياً، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه اعتنقه، وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فقال ﷺ: «يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرةً إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر»<sup>(١)</sup>، ثم بعد ذلك دخل النبي وعلي ومن معه إلى المدينة.

يقول المقرئ: قدم رسول الله ﷺ قباء في الثاني عشر من ربيع الأول، والتحق به علي عليه السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه<sup>(٢)</sup>، ويؤيد هذا القول ما ذكره الطبري في (تاريخه) إذ كتب يقول: أقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده إلى الناس<sup>(٣)</sup>.

## القبس الخامس

### مؤاخاة النبي ﷺ مع الإمام علي عليه السلام

(١٢ رمضان / السنة الأولى هـ)

لقد آخى النبي ﷺ بين المسلمين من المهاجرين بمكة قبل هجرته منها، فجعل كل واحد منهما أخاً للآخر، واتخذ هو ﷺ لنفسه أخاً وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم لما هاجر ﷺ إلى المدينة وهاجر أخيراً معه الآخرون من المسلمين، واصبحوا فرقتين مهاجرين وأنصار، آخى ﷺ بينهما مؤاخاة فجعل لكل مهاجري أخاً من الأنصار، ولكل أنصاري أخاً من المهاجرين، أمّا هو ﷺ فلم يتخذ له أخاً سوي علي أمير المؤمنين عليه السلام مع أن كل واحد منهما مهاجري، فمقتضي هذه القاعدة أن يتخذ النبي ﷺ أخاً له من الأنصار، وأن يتخذ لعلي أيضاً أخاً له من الأنصار، ولكن لما لم يكن أحد مثل النبي ﷺ غير علي أمير

(١) راجع تفاصيل هذه القضية في أمالي الطوسي ٢: ٨٣، وتفسير البرهان ١: ٣٣٢، نقلاً عن الشيخ المفيد في الاختصاص، ورواها ابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٣، والطبرسي في إعلام الوری: ١٩٠، والمقرئ في إمتاع الأسماع ١: ٤٨، وذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ١٠٦، وراجع بحار الأنوار ١٩: ٦٤.

(٢) إمتاع الأسماع: ٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٨٢، نقلاً عن كتاب سيد المرسلين ١: ٦١٩.

المؤمنين ﷺ لذا اتخذاه أخاه له دون غيره في كلا المرتين ، وما اكتفي بذلك حتي قال له : أنت أخي في الدنيا والآخرة ، فكان علي أخاه في المنزل والمؤاخاة ، ولكنها مؤاخاة خاصة بين الاثنين ، إضافة إلي الأخوة العامة بين المؤمنين أجمعين<sup>(١)</sup>.

ونقل العلامة المجلسي في بحاره : كان في أحد الأيام النبي ﷺ ومعه ٧٤٠ شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل ﷺ وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأنت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص توجه إلى الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه أكثر، فتآخى أبو بكر مع عمر، عثمان مع عبد الرحمن، وسلمان مع أبي ذر، وطلحة مع الزبير، ومصعب مع أبي أيوب الأنصاري، وحمزة مع زيد بن حارثة، وأبو الدرداء مع بلال، وجعفر الطيار مع معاذ بن جبل، والمقداد مع عمار، وعائشة مع حفصة، وأم سلمة مع صفية، والنبي الأكرم ﷺ مع أمير المؤمنين علي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ونقل المقرئ في «إمتاع الأسماع» عن عبد الرحمن بن الجوزي قال : أحصيت جملة من أخي النبي (صلى الله عليه وسلم) بينهم فكانوا مئة وستة وثمانين رجلاً . ويقال : كانوا تسعين رجلاً : خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار . ويقال : خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء . ويقال : انه لم يبق من المهاجرين أحد الا أخي بينه وبين أنصاري . وكانت المؤاخاة بعد مقدمه بخمسة أشهر . وقيل : بثمانية أشهر ، ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن سعد في « الطبقات »<sup>(٤)</sup> ما معناه : أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام ، فلما كانت وقعة بدر أنزل الله تعالى في سورة الأنفال : ( وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله )<sup>(٥)</sup> نسخت هذه الآية ما كان قبلها ، ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذو رحمه .

(١) انظر كتاب ( المراجع ) للإمام شرف الدين : ١٦٢ في كيفية المؤاخاة ومصادرها .

(٢) بحار الأنوار ٣٨ : ٣٣٥ .

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي : ٣٤٠ وروى الحديث عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله) قال لعلي : أنت أخي وصاحبي . كما رواه أحمد في مسنده ١ : ٢٣٠ والمتقي الهندي في كنز العمال ٦ : ٣٩١ . كما في الغدير ٣ : ١١٦ .

(٤) الطبقات ١ : ٢٤٢ .

(٥) الأنفال : ٧٥ .

عن محدوج ابن زيد: إن رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين، ثم قال: يا على، أنت أخى، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسى؛ أنت أخى فى الدنيا والآخرة، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى. فقامت وأنا أبكى من الجذل<sup>(٢)</sup> والسرور<sup>(٣)</sup>.

### القبس السادس

#### الإمام على عليه السلام فى غزوة بدر الكبرى<sup>(٤)</sup>

(١٧ رمضان / السنة الثانية للهجرة)

فى يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، فى السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبى ﷺ قد أرسل قبلها بعدة سرايا، منها بدر الصغرى إلا أنه لم يقع فيها قتال، وكان سبب غزوة بدر الكبرى أن النبى ﷺ قد أطلععه الغيب على خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبى سفيان، فيها أموال كثيرة، قُدِّرَتْ بخمسين ألف دينار، فخرج النبى ﷺ فى ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً لأخذها عوض أموالهم التى سلبت فى مكة، غير أن هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلى الشام، فأخذ النبى ﷺ يتربص رجوعها حتى إذ اعلم به انتدب الناس للخروج إليها وسلبها، فخرج المسلمون يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو يناديهم: يا آل غالب... يا آل غالب.. اللطيمة اللطيمة. فلما أخبرهم الخبر تجهّزت قريش لحرب النبى ﷺ وما بقي أحد من عظمائها إلا أخرج ماله لتجهيز الجيش، فخرجت قريش بألف فارس ويزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر، فلما وصل خبرهم إلى

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٣ ح ١١٣١، وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣ ح ٨٣٨٩، والمناقب للخوارزمي ١٤٠ ح ١٥٩، والمناقب لابن المغازلي

٤٢: ٦٥ عن أبى زيد الباهلي؛ والأمالى للصدوق ٤٠٢: ٥٢٠، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٦.

(٢) جذل - بالكسر - بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب ١١: ١٠٧).

(٣) كنز الفوائد ٢: ١٨٠، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده عليه السلام، والمعجم الكبير ١١: ٦٣ ح ١١٠٩٢.

(٤) غزوة بدر الصغرى كانت فى ربيع الأول السنة الثانية للهجرة، وأوفى جمادى الآخرة، حيث غزى رسول الله ومعه على بن أبى

طالب، كرز بن جابر القهري من مشركي قريش. (راجع مغازي الواقدي ١: ١٢، وسيرة ابن هشام ٢: ٢٥١).

النبي ﷺ استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام المقداد، فقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، ولكننا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلنّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا ببرك الغماد لتبعناك<sup>(١)</sup>.

فأشرق وجه النبي ﷺ ودعا له وسراً لذلك وضحك، ثم أمر أصحابه بالمسير وأخبرهم بأنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، النفير أو العير<sup>(٢)</sup>، وأن الله لن يخلف وعده، فساروا حتى نزلوا بدرًا إلا أن المشركين كانوا قد سبقوهم إلى بدر فنزلوا في العُدوة القصوى؛ في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين، وقد سلمت، لأنّ أبا سفيان قد سلك بها طريق البحر وابتعد عن المدينة وعن سير المسلمين، وكان محلّ نزولهم صلباً، ونزل المسلمون في العُدوة الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم، فباتوا إلى الليل، واشتد العطش بالمسلمين.

### ثلاثة آلاف منقبة لعليّ في ليلةٍ

واشتدّ العطش بالمسلمين وهم في منطقة بدر فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: مَنْ منكم يمضي في هذه الليلة إلى البئر فيستسقي لنا؟ فصمتوا ولم يتقدم منهم أحدٌ على ذلك، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام قربةً وانطلق، وكانت ليلة باردة ظلماء، ذات رياح وهواء حتى ورد البئر، فلم يجد دلوّاً يستسقي به فنزل بنفسه في البئر وملاً القربة، وأخذ في الرجوع، فعصفت عاصفة، فجلس حتى سكنت، ثم قام يسير وإذا بعاصفة ثانية فجلس حتى هدأت، ثم قام يسير، وإذا بعاصفة ثالثة فجلس حتى زالت، ثم قام وسلك طريقه حتى أتى النبي ﷺ فسأله النبي ﷺ عن بُطئه فأخبره بالعواصف الثلاث. فقال النبي ﷺ: وهل علمت ما هي تلك العواصف يا عليّ؟ فقال: لا. فقال: العاصفة الأولى جبرائيل عليه السلام، ومعه ألفٌ من الملائكة سلم عليك وسلموا، والثانية كانت ميكائيل ومعه ألف ملك سلم عليك

(١) راجع السيرة الحلبية ٢: ١٤٣، الكامل في التاريخ ٢: ١١٦، وتفسير القمي ١: ٢٦١.

(٢) راجع سورة آل عمران: الآية ١٢٣.



وسلموا، والثالثة كانت إسرائيل ومعه ألف ملك سلم عليك وسلموا، وكلهم هبطوا مدداً لنا<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى يشير مَنْ قال: كانت لعلِّي ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وفي هذا الآية الكريمة: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### المعركة ونتائجها

كان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادى عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا. فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: «قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم...». فتبارز الثلاثة، وقتل علي الوليد، وجاء فوجد حمزة معتقاً شيبة بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبة، فاعترضه علي بالسيف فطير نصف رأس شيبة، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفلق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز على عتبة، وعلى هذا فيكون علي عليه السلام قد شرك في قتل الثلاثة<sup>(٣)</sup>.

وكان لعلِّي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة، حيث كان نصف القتلى تقريباً بسيفه، وقد ذكر الواقدي أسماء تسعة وأربعين رجلاً ممن قتل في بدر من المشركين، ونصّ على أنّ من قتله منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: إنّ أهل الغزوات أجمعوا على أنّ جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً قتل الإمام علي عليه السلام منهم إحدى وعشرين نسمة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم<sup>(٥)</sup>.

(١) بحار الأنوار ١٩: ٣٠٥ ح ٤٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١١٩.

(٤) مغازي الواقدي ١: ١٥٢، وأنساب الأشراف ١: ٢٩٦.

(٥) نور الأبصار: ٨٦.

## القبس السابع

### زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام

( ١ ذي الحجة / السنة الثانية للهجرة )

كان عمر الإمام علي عليه السلام قد بلغ أربع وعشرين سنة فلا بد له من الزواج وبدء الحياة المشتركة والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله ﷺ الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول ﷺ امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله، إلى أن تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله ﷺ، فقال له: «يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن علي رسلك حتي أخرج إليك»، فلما دخل النبي ﷺ على فاطمة، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكنت ولم تول وجهها، ولم ير فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «الله أكبر، سكوتها إقرارها»، فخرج إلى علي وموافقة الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة<sup>(١)</sup>، فقال ﷺ: يا علي هل معك ما أزوجه بك به؟ فقال عليه السلام: فداك أبي وأمي، والله لا يخفي عليك من أمرى شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي. فقال ﷺ: يا علي، أما سيفك فلا غني بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به علي نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفر، ولكني قد زوجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمنه<sup>(٢)</sup>.

باع الإمام علي عليه السلام الدرع<sup>(٣)</sup> بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة، وجاء بالدرهم وطرحها بين يدي النبي ﷺ، فكان هذا فقط صدق أشرف وأعظم فتاة عرفت لها دنيا الإنسان<sup>(٤)</sup>.

ثم إن النبي ﷺ قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم ردّه بعد ذلك إلى علي عليه السلام قبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف. ودفع النبي ﷺ الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي ﷺ أخذ يقبلها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم بارك لقوم جُلُّ

(١) وقد اشتهر عن النبي ﷺ، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفؤ».

(٢) الإصابة للعسقلاني ٤: ٣٦٥، أنساب الأشراف ٢: ٣٠.

(٣) كانت تسمى هذه الدرع بـ (الحطيمة) لأنها كانت تحطم السيوف.

(٤) راجع بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

## آنيتم الخزف»<sup>(١)</sup>.

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: إن النبي ﷺ دعا بلالاً فقال: يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سُنَّة أمتي إيطام الطعام عند النكاح، فأت الغنم فخذ شاء وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآتني بها. فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله ﷺ في رأسها، ثم قال: أدخل على الناس زفة زفة...». فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي ﷺ معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام - وإن كان من قبل السماء بقوله ﷺ: «إن الله أمرني بأن أزوّج فاطمة من علي»<sup>(٢)</sup> - لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبني عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها. ولعل في الكلام الذي روي عن النبي ﷺ: يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي<sup>(٣)</sup> إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليهما السلام على أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما نعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها علي أمر حتي قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتنى ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ ح ٣٢.

(٢) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

(٤) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣، وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤.

وجاء في آخر كلام لها مع علي عليه السلام: «يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني»، فقال عليه السلام: «معاذ الله أنت أعلم وأبر وأتقي وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي»<sup>(١)</sup>.

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص كتابه العزيز ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠، وروضة الواعظين: ١٥١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

## القبس الثامن

### دور على ﷺ في غزوة أحد

(٧ شوال / السنة الثالثة للهجرة)

كان سبب غزوة أحد: أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكّرهم ويحثّهم على حرب رسول الله ﷺ، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره: أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة<sup>(١)</sup>.

وأصبح رسول الله ﷺ فتهياً للقتال، وجعل على راية المهاجرين علياً ﷺ، وعلى راية الأنصار سعد بن عباد، وقعد رسول الله ﷺ في راية الأنصار<sup>(٢)</sup>.

وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ.

فبرز إليه أمير المؤمنين ﷺ يقول:

لنا خيول ولكم نصول

وأينا أولى بما تقول

بصارم ليس به فلول

يا طلح إن كنت كما تقول

فأثبت لننظر أيّنا المقتول

فقد أذاك الأسد الصّوول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال طلحة: قد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك.

(١) تفسير القمي ١: ١١٠.

(٢) إعلام الوری ١: ١٧٦.

فشدّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

وأخذ الراية أبو سعيد فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، إلى أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلى الأرض.

### هزيمة المسلمين ووقوف الإمام عليه السلام

وانهزم المسلمون هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «إني أنا رسول الله فإلي أين تفرون عن الله ورسوله».

ولم يبق مع الرسول صلى الله عليه وآله إلا أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة، وكلما حملت طائفة على الرسول صلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه. فلما انقطع سيفه جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي. فدفع إليه الرسول سيفه «ذا الفقار» وقال: قاتل بهذا.

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رآوه رجعوا، وانحاز الرسول صلى الله عليه وآله إلى ناحية أحد فوقف، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»، ونزل جبرئيل على الرسول وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله: لأنني منه وهو مني، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

واستشهد في هذه الغزوة عددٌ من الصحابة منهم مصعب ابن عمير وأيضاً استشهد عم النبي صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في هذه المعركة بيد «وحشي» الذي كان عبداً حبشياً لجبير بن مطعم. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطينك رضاك.

يقول وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيت رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيت يهد الناس هدأ، فمرّ بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهزرتها

ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم<sup>(١)</sup>.

## القبس التاسع

### رد الشمس للإمام علي عليه السلام

(١٥ شوال / السنة الثالثة للهجرة)

وروى الطحاوي والطبراني في (الكبير) والحاكم والبيهقي في (الدلائل) عن أسماء بنت عميس أنه عليه السلام دعا لما نام على ركة علي ففاته صلاة العصر. فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت وهذا أبلغ في المعجزة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه (الصواعق المحرقة) عند ذكر فضائل علي عليه السلام: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سريعه عليه السلام إلا وقد غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فأردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت»<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر ابن كثير أن فعل علي عليه السلام وحده حجة وهذا دأب كل من يحسن الأدب أمام أمثال الإمام علي عليه السلام.

فعلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس. فهذا إقرار لعلي عليه السلام على فعله.

ولكن مع ذلك كله فالرواية الأسلم من مصادر الشيعة أن علي عليه السلام صلى من جلوس إيماءاً وردّت الشمس لكي يصلي صلاة تامة من الركوع والسجود، فقد قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ومما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السيرة والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار: رجوع الشمس له عليه السلام مرتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته مرة أخرى.

(١) تفسير القمي ١: ١١٦.

(٢) فتح الباري ٦: ٢٢٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٩٧.

وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوج النبي ﷺ وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة: أن النبي ﷺ كان ذات يوم في منزله وعليه عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غابت الشمس فاضطر أمير المؤمنين عليه السلام لذلك أن يصلي صلاة العصر جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماءً فلما أفاق من غشيته قال لأمر المؤمنين عليه السلام: أفاتك صلاة العصر؟ قال له: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي، فقال له: ادع الله حتي يرد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتكم فإن الله تعالى يجيبك لطاعتك الله ورسوله، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام الله في رد الشمس فردت...<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر المرة الثانية قائلاً: وكان رجوعها بعد النبي ﷺ أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم فصلى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه لتجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها فأجابه الله في ردها عليه<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحادثة (رد الشمس) نظمها السيد الحميري في شعر له فقال:

وقت الصلاة وقد دنت للمغرب	ردت عليه الشمس لما فاته
للعصر ثم هوت هوى الكوكب	حتى تبلج نورها في وقتها
أخرى وما ردت لخلق مغرب	وعليه قد ردت ببابل مرة

وفي منصرف النبي (صلي الله عليه وآله) من فتح خيبر، وفي منزل الصّهباء هذا، روت أسماء بنت عميس: أن النبي بعد صلاة العصر استلقى ورأسه في حجر علي (عليه السلام) - وهو لم يصل العصر - فاعترت النبي حالة الوحي، فلم يوقظه علي (عليه السلام) ولم يضع رأسه من حجره ليصلي العصر حتى غربت الشمس،

(١) الإرشاد ١: ٣٤٥.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤٦.



واستيقظ النبيؐ ، وكان يعلم أن علياً (عليه السلام) لم يكن يصلى العصر ، فقال له : أصليت يا علي ؟ قال : لا . فجعل النبيؐ يدعو : اللهم إله ( علي ) كان في طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ! قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعدما غربت حتى وقعت على الجبل والأرض حتى أدّى علي (عليه السلام) صلاته فغربت<sup>(١)</sup> .

فقال حسّان بن ثابت في ذلك :

إن علي بن أبي طالب×××ردّت له الشمس من المغرب<sup>(٢)</sup>

### القبس العاشر

### ضربة على ﷺ يوم الخندق

(٣ شوال / السنة الخامسة للهجرة)

إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتى قدموا مكة إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله ﷺ وتسرعته إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النضير) وسألوه المعونة على قتاله، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفك عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي ﷺ، ثم خرج اليهود من مكة إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وضمنوا لهم النصر والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر تسعة من المحدثين الذين أفردوا لهذا الحديث رسائل خاصة ، في مقدمة الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني المحقق لكتاب فتح الملك العلي ، وفي الكافي ٤ : ٥٦١ ح ٧ عن الصادق (عليه السلام) عن أسماء عن علي (عليه السلام) ، ورواه في الفقيه ١ : ١٣٠ ح ١١ وانظر مصادره في فضائل الخمسة ٥ : ١١٢ - ١١٩ وإحقاق الحق ٥ : ٥٢٢ و ١٦ : ٣١٥ .

(٢) الخرائج والجرائح ٢ : ٤٩٩ ح ١٣ وانظر مصادر الخبر فيه إلى صفحة ٥٠٣ ، ونقل عبد الرحمن خويلد في كتابه: المساجد والأماكن الأثرية المجهولة ، عن كتاب آداب الحرمين : ١٤٧ أن حادثة ردّ الشمس بعد غروبها لعليّ كرم الله وجهه ليذكر صلاة العصر، وقعت في موضع مسجد الفضيف، ثم قال : وهذا صحيح؛ لأنّه مروى عن غير واحد من قدماء العلماء ، ذكرهم الطريحي في كتابه ردّ الشمس: ٩٤. وعن محل مسجد الفضيف قال: يقع في جنوب مشربة أم إبراهيم في الشارع الموصل بين شارع العوالي وخط الحزام العام باتجاه مستشفى المدينة الوطني، كما في مجلة ميقات الحج ٧ : ٢٧٥ .

(٣) الإرشاد ١ : ٩٥ ، إعلام الوری ١ : ١٩٠ ، ومجمع البيان ٨ : ٥٣٣ .

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة، والحرث بن عوف في بني مرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع، واجتمعت قريش معهم، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف<sup>(١)</sup>.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستشار أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة)، فنحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه. فإننا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: أشار سلمان بصواب<sup>(٢)</sup>.

### حفر الخندق

وبدأ رسول الله ﷺ بحفر الخندق بنفسه فحفر في موضع المهاجرين، وأمير المؤمنين ﷺ ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله ﷺ وعيي، فلما نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب، وفرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، وفي عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف<sup>(٣)</sup>، وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾<sup>(٤)</sup> يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ وهم عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة<sup>(٦)</sup>.

قال الطبرسي: وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون<sup>(٧)</sup>.

(١) المناقب ١ : ١٩٧.

(٢) راجع تفسير القمي ٢ : ١٧٧.

(٣) تفسير القمي ٢ : ١٧٦.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٩.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٦) التبيان ٨ : ٣٢٠.

(٧) مجمع البيان ٨ : ٥٣٥.

## برز الإيمان كله إلى الشرك كله

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلمّوا للقتال والمبارزة، وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق، وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ودّ الذي طفر بفرسه الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ، وركز رمحه إلى الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز  
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز  
إنني كذلك، لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز  
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ: من له؟ فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله. فقال: يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس ليليل. فقال علي عليه السلام: وأنا على بن أبي طالب. فقال رسول الله ﷺ: أدن مني، فدنا منه، فعمّمه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: اذهب وقاتل بهذا. ثم دعا له فقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته<sup>(١)</sup>.

وذكر الكراجكي: أن النبي ﷺ قال ثلاث مرات: أيكم يبرز إلي عمرو وأضمن له علي الله الجنة؟! وفي كل مرة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعمّمه بيده، فلما برز قال ﷺ: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله».

فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

ذو نية وبصيرة، والصدق منجي كل فائز  
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز  
من ضربة نجلاء يبقى صوتها بعد الهزاهز<sup>(١)</sup>

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليّ: أنا علي بن أبي طالب. فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتراك شائلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت، فقال له عليّ: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتنى دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

فقال عليّ: دع هذا يا عمرو، وإنى سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلي واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلي واحدة.

قال: هات يا علي، قال عليّ: أحدها أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ. قال عمرو: نحّ عني هذه فاسأل الثانية. فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلني به عينا وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشّد الشعراء في أشعارها، أني جبت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال عليّ: فالثالثة أن تنزل إليّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتي أنا بذك. فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها<sup>(٢)</sup>، فنزل عن فرسه، وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على عليّ مصلاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثم اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً على أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه عليّ فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً يسبح سيفه على ثياب عمرو

(١) مجمع البيان ٨: ٥٣٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

وقد خرّ صريعاً<sup>(١)</sup>.

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه، فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردّ عنه حذيفة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته، فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن سبب وقفته؟ فقال عليه السلام: قد كان شتم أُمّى، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتي سكن ما بي ثم قتلته في الله فقال له عمر: فهلاً سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟ فقال عليه السلام: إني استحييت أن أكشف ابن عمي<sup>(٢)</sup>.

و تلقّا النبي صلى الله عليه وآله علياً فمسح الغبار عن عينيه وقال له: «لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمّة محمد لرجح عملك علي عملهم»، وقال صلى الله عليه وآله: «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»<sup>(٣)</sup>.

## القبس الحادى عشر

### فتح حصون خيبر بيد الإمام علي عليه السلام

(٢٤ رجب / السنة السابعة للهجرة)

حين شجّع يهود خيبر جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الإسلامية، والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشترك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة، واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري، واتحاد نظامي من نوعه في ذلك العصر، كانت خيانتهم ولؤمهم يدعو النبي صلى الله عليه وآله أن يقضي على بؤرة المؤامرة، ومركز الفساد والخطر، وأن يجرد سكانها جميعاً من السلاح، كل ذلك لما كان منهم من خيانة العهد، ونقض المعاهدة التي أجراها النبي صلى الله عليه وآله مع جميع اليهود القاطنين حول المدينة<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ من الحكمة، بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد، ولهذا فقد أمر صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لغزو خيبر آخر مراكز اليهود في الجزيرة العربية، وقال

(١) شرح الأخبار ١: ٢٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧، كنز الفوائد ١٣٨، وبحار الأنوار ٢٠: ٢١٥.

(٣) الإقبال: ٤٦٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٤٦.

لأصحابه: «لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد وأما الغنيمَةُ فلا»، فاستخلف رسول الله ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي<sup>(١)</sup>.

لقد خرج مع النبي ﷺ إلى خيبر ما يقارب من ألف وستمئة مقاتل، بينهم مائتا فارس<sup>(٢)</sup>، وعندما أشرف ﷺ على خيبر قال داعياً ربه: «اللهم ربّ السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها»<sup>(٣)</sup>.

وكانت خطة النبي في بداية التحرك قطع النقاط والطرق الحساسة ليلاً عن كل حصون السبعة لليهود، وفعلاً خرج مزارعوا خيبر وعمالهم إلى أراضيهم في الصباح وإذا بهم يفاجئون بجنود الإسلام حول حصونهم، وقد سدّوا عليهم جميع الطرق، فأفزعهم ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا وهم يقولون: محمد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها.

ولكن على الرغم من كلّ التكتيك العسكري لليهود والحصانة الكبيرة، والقتال المستميت فقد استطاع المسلمون فتح أكثر الحصون، وكان أول حصن فُتح هو (ناعم) ثم (القموص) الذي كان يرأسه أبناء أبي الحقيق، وأسرت فيه (صفية بنت حُيي بن أخطب)، التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله ﷺ، ثم فتح (الكتيبة) وبعده (النظاة)..<sup>(٤)</sup>

واستعصت باقي الحصون كسلاّم والوطيح على المسلمين، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين، ولكنه سرعان ما رجع، ولم يفتح واحداً منها، وكان كل من أبي بكر والجيش يلقي اللوم على الآخر، فبعث النبي في اليوم الآخر عمر بن الخطاب، فسرعان ما عاد كصاحبه<sup>(٥)</sup>، فأغضب النبي ﷺ ذلك، فجمع الناس وقال لهم: «لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يفتح الله علي يديه، كرّار غير فرّار»<sup>(٥)</sup>.

(١) سيد المرسلين، للسبحاني ٢: ٣٨٧.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٤.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٣٣٥.

(٤) راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠، والسيرة الحلبية ٢: ٣٥.

(٥) الكافي ٨: ٣٤٩، الخرائج ١: ١٥٨، شرح نهج البلاغة ١٣: ١٨٦، بحار الأنوار ٢١: ٢٢٢، وهذه العبارة مشهورة بين المؤرخين، ذكرتها أغلب كتب التاريخ والحديث.

## أنا الذي سمتني أمي حيدر

بات الأصحاب وكل واحد منهم يتمنى أن يكون صاحب هذا الوسام الخالد، وفي الصباح نادى النبي ﷺ: أين علي؟ ف قيل: يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية، فقال ﷺ: إئتوني بعلي، فأمر - رسول الله ﷺ يده الشريفة على عيني علي ﷺ ودعا له بخير فعوفي من ساعته، ثم دفع اللواء إلى علي، وقال له: اذهب ولا تلتفت. فوقف علي ﷺ ومن دون أن يلتفت، قال لرسول الله ﷺ: وعلي ماذا أقاتلهم، قال ﷺ: علي الإسلام أو الجزية<sup>(١)</sup>.

لما وصل علي ﷺ إلى الحصون كان قد ارتدى درعاً قوياً، وحمل ذا الفقار، وأخذ يهرول بشجاعة منقطعة النظير والجند خلفه، حتى ركز راية النبي البيضاء على الأرض تحت الحصن، فلما رأى اليهود دنوه نحو الحصن أخذ يخرج كبار صناديدهم، وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى الحارث، فتقدم إلى علي وصوته يدوي في ساحة القتال، بحيث تأخر من كان خلف علي من الجند فزعاً وخوفاً<sup>(٢)</sup>، ولكن سرعان ما جندله أمير المؤمنين بسيفه ورمى به جثة هامدة على الأرض، فغضب مرحب (بطل خيبر المعروف) لقتل أخيه، فخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، قد لبس درعاً يمانياً، -وقيل داودياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم نحو علي كالفحل الصؤول يرتجز، ويقول:

شاكي السلاح بطلٌ مجربٌ  
والقرنٌ عندي بالدماء مخضّبٌ

قد علّمت خيبرُ أني مرحبٌ  
إن غلب الدهرُ فإنني أعلبٌ

فأجابه علي ﷺ مرتجزاً:

ضرغامٌ أجام وليثٌ قسورةٌ  
كليث غاباتٍ كرية المنظرة

أنا الذي سمتني أمي حيدر  
عبل الذراعين غليظ القيصر

فأخذ يتبادلان الضربات بالسيوف، وقعقتها تثير الرعب والفرع في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الإسلام القاطع على المفروق من رأس مرحب قذت خوذته نصفين ونزلت على رأسه

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

وشقته نصفين إلى أسنانه.

لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث أفزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلته حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، وجاءته السهام تترى فقلع باباً على الحصن وأخذ يتترس به عن نفسه، فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يديه حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الإسلام، ومنهم أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أن يقلبوا ذلك الباب، أو يحركوه من مكانه فلم يقدرُوا على ذلك<sup>(١)</sup>.

يقول اليعقوبي في (تاريخه): إن الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر، وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين<sup>(٢)</sup>، وكان هذا الباب يفتحه (٢٢) رجلاً، ويغلقه مثلهم، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

يا قالع الباب الذي عن هزّه  
عجزت أكف أربعون وأربع

وقد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر، وخصوصياته، ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام في هذا الفتح، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية العادية، وفي هذا الصدد يقول علي عليه السلام: «ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة راضية»<sup>(٣)</sup>. وعاد علي عليه السلام إلى النبي ﷺ منتصراً ظافراً، وفي هذه الأثناء وصل جعفر بمن معه من المهاجرين من الحبشة، فاستقبله النبي ﷺ وقال: «ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٩٤، عن سيرة ابن هشام ٢: ٣٤٩، وعنه تاريخ الخميس ٢: ٤٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٤٠.

(٤) التهذيب ٣: ١٨٦، ٢٠، شرح نهج البلاغة ٤: ١٢٨، بحار الأنوار ٢١: ٢٣، ٢٢.



## القبس الثاني عشر

### الإمام على عليه السلام و غزوة ذات السلاسل<sup>(١)</sup>

(السنة الثامنة للهجرة)

وتسمّى أيضاً وقعة وادي الرمل،<sup>(٢)</sup> وكان سببها أنّ عدداً من الأعراب قد اجتمعوا لغزو المدينة - في وادي الرمل - على حين غفلة من أهلها ، فوفد أعرابي على نبيّ الله وأخبره بالأمر ، وخرج أمير المؤمنين ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله بعد أن خرج الآخرون من الصحابة، ورجعو عنهم خائبين<sup>(٣)</sup>. فمضى عليه السلام نحو القوم، يكمن النهار ويسير الليل ، حتى وافى القوم بسحر ، وصلى بأصحابه صلاة الغداة ، وصفّهم صفوفاً وأتّكأ على سيفه وانقضّ بمن معه على القوم على حين غفلة منهم، وقال: «يا هؤلاء، أنا رسولُ رسولِ الله، أن تقولوا: لا إله الا الله محمّد رسول الله، والا ضربتكم بالسيف». فقالوا له: ارجع كما رجع صاحبك، قال: «أنا أرجع؟! لا والله حتّي تسلموا ، أو لأضربنكم بسيفي هذا ، أنا علىُّ بن أبي طالب بن عبد المطلب»، فاضطرب القوم.

ولما انشق عمود الصبح صلي بالناس بعّس<sup>(٤)</sup> ثم أغار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتى وطأتهم الخيل ، فما أدرك آخرُ أصحابه حتى قتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم ، واستباح أموالهم ، وخرّب ديارهم . وأقبل بالأساري والأموال معه .. وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس .. وما غنم المسلمون مثلها قط ، إلاّ أن يكون من خيبر ، فانها مثل ذلك .

وَأَذ

(١) ذات السلاسل من أرض بني عُذرة .. إلى جهة الشام .. على ماء بأرض جُذام يقال له السُّسَل ، وبذلك سمّيت الغزوة : ذات السلاسل . وهي وراء وادي القُرس بينها وبين المدينة عشرة أيام ، (راجع الطبقات الكبرى ٢ : ٩٤ و الخرائج والجرائح ١ : ١٦٧ و ٢٥٧).

(٢) حيث يسكن فيها قوم من العرب يقال أنّهم بني سُليم ، وهم قريب من الحرّة، راجع تفسير القمي ٢ : ٤٣٤ ، والإرشاد للمفيد ١ : ١١٣ ، وبحار الأنوار ٢١ : ٦٧ - ٧٤ .

(٣) انظر: الكامل في التاريخ ٢ : ١١٠ ، وإعلام الوری ١ : ٣٨٢ ، في من خرج وعاد خائباً.

(٤) الغلّس : الظلام في آخر الليل ، والغسق في أوّله .

زل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم سورة « والعاديات ضبحاً » يعنى بالعاديات الخيل تعدو بالرجال ، والضبح صيحتها في أعنتها ولجُمها<sup>(١)</sup> .

ونز

ل جبرئيل فأخبر رسول الله (صلي الله عليه وآله) بما فتح الله لعلی (عليه السلام) وجماعة المسلمين . فصعد رسول الله المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله علي المسلمين ، وأعلمهم أنه لم يُصَب منهم إلاّ رجلاً ، ونزل . ثم خرج يستقبل عليّاً في جمع من أهل المدينة من المسلمين ، إلى ثلاثة أميال من المدينة ، فلما رآه علي (عليه السلام) مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبي (صلي الله عليه وآله) حتى التزمه وقبّل ما بين عينيه ، فنزل جماعة المسلمين إلى علي (عليه السلام) ، حيث نزل رسول الله (صلي الله عليه وآله)<sup>(٢)</sup> .

وقام له المسلمون صفّين مع رسول الله (صلي الله عليه وآله) ، فلما بصر بالنبي (صلي الله عليه وآله) ترجّل عن فرسه وأهوي إلى قدميه يقبلهما ، فقال له : اركب ، فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان ! فبكي أمير المؤمنين (عليه السلام) فرحاً . فقال له النبي (صلي الله عليه وآله) : يا عليّ ، لو لا أنّي أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصاري في المسيح عيسى بن مريم ، لقلت فيك - اليوم - مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك<sup>(٣)</sup> .

### القبس الثالث عشر

(١) كذا في هذا الخبر في تفسير القمي ، والكوفي : ٦٠٢ ، الحديث ٧٦١ والطوسي في الأمالي : ٤٠٧ ، الحديث ٩١٣

(٢) تفسير القمي ٢ : ٤٣٤ - ٤٣٨ ويبدو عنه في تفسير فرات الكوفي ٥٩٩ ، الحديث ٧٦١ .

(٣) الإرشاد ، للشيخ المفيد ١ : ١١٣ ، إعلام الوری ١ : ٣٨٢ .

## أدوار الإمام علي عليه السلام في فتح مكة المكرمة

(٢٠ / رمضان / السنة الثامنة للهجرة)

في العشرين من شهر رمضان المبارك للسنة الثامنة من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله مكة، وكان فتحاً مبيناً ومؤزراً على طواغيت قريش وشركهم، ويمكننا القول بأن فتح مكة كان مرحلة متطورة جداً من الصراع بين الحق والباطل، إذ بدخول مكة تحت حكم الله الواحد، بدأت المدن الأخرى والقرى تدخل في الإسلام، من دون سفك دماء، أما إذا كان ولا بد فقليلة جداً، وقد أشار القرآن إلى آثار ونتائج هذا الفتح العظيم بقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كان للإمام علي عليه السلام الدور البارز في تحقيق هذا الفتح والنصر المؤزر، وليس دور الإمام علي عليه السلام بارزاً في فتح مكة فحسب ولا أن دوره تجسّد في ذلك دون سواه، بل في كل الحروب التي خاضها مع النبي ﷺ كان له الدور الأكبر في صناعة النصر، بل في بعضها كان له تمام الدور في صناعته، كما ذكرنا ذلك في بدر والخندق وخيبر وحنين...، ولكننا نقول ذلك في فتح مكة لمكان المناسبة فحسب.

وفيما يلي نستعرض جملة من هذه الأدوار، وهناك غيرها تركناها لغاية الاختصار.

### الدور الأول: أخذ الراية من سعد

كان هدف النبي ﷺ من تجميع المسلمين؛ والخروج بكلهم إلى مكة، كما أن الحذر من وصول الخبر إلى قريش، أن يباغتهم فلا يكون أمامهم أي وسيلة للدفاع عن أنفسهم سوى الدخول في الإسلام أو الفرار من الجبهة.

وكان هذا الهدف هو ما ينشده النبي في مجمل تحركاته نحو مكة حذراً من أن تسفك الدماء في حرم الله الآمن، وفعلاً لما علم أبو سفيان بخروجهم كانوا قد وصلوا إلى مقربة من مكة فخرج إلى النبي ﷺ ليساومه ولكن دون جدوى، فالنبي ﷺ قد عزم على فتحها، فلم يجد بداً من أن يحمي نفسه باعتناقه الإسلام، فلما وصل النبي ﷺ وأصحابه أبواب مكة أخذت الحمية سعد بن عبادَةَ الأنصاري، وهو يمرّ أمام أبي سفيان، فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى أو تستحل الحرمه.

(١) سورة النصر: الآية ٢.

(٢) سورة الفتح: الآية ١.

فأخذ الكثير من المسلمين يردّد ما قاله سعد، وكان هذا الشعار من شأنه تهييج المشركين للقتال حتى لو أدى ذلك إلى قتلهم، إذ العرب لا تتحمل دخول دارها فضلاً عن ذلها بذلك، كما من شأنه تشجيع المسلمين للنيل من المشركين خصوصاً مسلمي مكة الذين ذاقوا ألوان العذاب والبلاء على أيدي قريش، وكل ذلك يتنافى مع هدف النبي من عدم سفك الدماء في حرم الله الآمن، فوصل شعار سعد إلى النبي ﷺ فقال لأمير المؤمنين: يا علي أدرك سعدا وخذ الراية منه وأدخل أنت بها مكة، فأدركه أمير المؤمنين، فأخذ الراية منه ودخل بها مكة، ولم يمتنع عليه سعد، بل دفعها إليه.

ولم ير رسول الله ﷺ أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ.

قال الشيخ المفيد<sup>(١)</sup>: واعلم أنه لو رام ذلك غير علي ﷺ، لامتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فساد التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين.

وهذا الدور لعلي ﷺ لا يحتاج إلى تعليق، لأنه من الواضح جداً أن أخذ الراية من سعد لا يتم إلا برسول الله ﷺ حيث لا يتنازل سعد وهو زعيم الأنصار إلا للنبي ﷺ، ولما كان سعد يعرف أن علياً هو الرجل الثاني في الإسلام، وأنه سيصبح الرجل الأول سلّم الراية إليه بلا تنازع، فأخذ الإمام علي ﷺ الراية ونادى بأمر من النبي ﷺ: «اليوم يوم المرحمة، اليوم تحمي الحرمه».

### الدور الثاني: تحطيم الأصنام

بعدما لوت مكة جيدها، وأذعنت لراية النبوة، وتحولت إلى سلطة الرسول ﷺ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً حيث خرجت الرجال من مخابئها، وأسلمت وخرجت النساء من خدورهنّ وأسلمن، وانضوى الناس في ظل الرسالة الإسلامية، وعادت مكة إلى ذورتها الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض، وعاد البلد الحرام حيث يحرم فيها سفك الدماء، وأصبحت واحة الأمان والراحة والاطمئنان، دخل النبي ﷺ فاتحاً لا كما يدخل الفاتحون عنوةً بل كما يدخل الرسل المتواضعون ذاكراً ربّه، ناظراً إلى قربوس فرسه، لم يدخل مستعليّاً ولا مستكبراً وإنّما دخل ذاكراً شاكراً مسبحاً مستغفراً.

وبما أن مكة المكرمة كانت مجمع عبادة العرب، ومركز التجمع الصنمي أيضاً، وكان الغرض الأساس من الحرب الفكرية والنفسية والمادية إزالة الدولة الصنمية، وتأسيس دولة الإله الواحد الحقّ

(١) في الإرشاد ١: ٩٠.

مكانها، كان لابد من تركيز الألوهية في أذهان الناس، وتحطيم المظاهر الصنمية وقلعها من الأذهان، وتحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها.

قال الإمام الرضا عليه السلام: وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة فمر بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فجعلت تكب لوجهها<sup>(١)</sup>. وفي رواية ابن شهر آشوب: إن الإمام علياً عليه السلام صعد على أكتاف النبي وكسر الأصنام الموجودة على ظهر الكعبة<sup>(٢)</sup>.

كان هدف الإسلام محو الصنمية من الوجود الخارجي، بل الوجود الذهني أيضاً، والعقيدة الصنمية حالة مستعصية، مركوزة في الذهن والوجدان، وبعضهم رضع عقيدة الصنمية وعبادة الصنم مع الحليب فأنتى له أن يترك هذه العبادة، ولو كانت خرافة ما فوقها خرافة؟ والذي عشق الخرافة ورضع الخرافة، لا يراها خرافةً، وإنما يراها صحيحة، وهذا هو الجهل بعد الجهل. ومشكلة الرسالة كانت مع هذا النوع من الجهل، ومع التعقيد النفسي والذهني. فهل كان بإمكان الرسول صلى الله عليه وآله غرس العقيدة الإلهية دون إزالة العقيدة الصنمية من الأذهان؟ وهل يمكن محوها من الذهن قبل محوها من الواقع؟ ومن الذي يساعده على هذه المهمة الصعبة إلا رجل الصعاب، رجل المواقف، إلا عليّ الذي صعد على كتف النبي، وحمل فأس النبوة بيده القوية وزنده المتين، حتى كسرها تكسيراً؟ وبذلك تم الانتصار الحقيقي للإسلام بإزالة كل آثار الصنمية ومحوها من الوجود.

هذه أدوار علي عليه السلام في فتح مكة وإرساء الإسلام فيها وما حولها، وهكذا فقد أوقف حياته عليه السلام في أعظم خدمة للإسلام وللنبي، واستمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعقب المجرمين، ويقطع أدمار المرتدين.

### القبس الرابع عشر

### الإمام علي عليه السلام في أرض طي

(ربيع الآخر/السنة التاسعة للهجرة)

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف من قبل أن في قبيلة طي صنماً كبيراً يُسمى الفلّس يُقدس، ومن هنا بعث عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام على رأس مائة وخمسين فارس إلى أرض طي، وأمره بأن يحطّم صنمهم، ويهدم بيته، ففي ربيع الآخر سنة تسع خرج علي (عليه السلام) إلى بني طي آل حاتم الطائي وابنه عدي

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٦٧ ح ٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٩: ٦١ ح ١٥.

وكا

ن لزعيمهم عدي بن حاتم الطائي عيناً بالمدينة ، فلما علم بخبر السرية أخبر عدياً فهرب إلى الشام فاحتمل بأهله وولدي ، وخلف اخته سفانة في الحي ، وسلك طريق الشام ليلحق بأهل دينه من النصارى<sup>(٢)</sup> ، حيث كان ركوسياً من النصارى<sup>(٣)</sup> .

وخ

رج علي بن أبي طالب عليه السلام بسريته من المدينة حتى وصل إلى قبيلة طي و قد أدرك قائد السرية أن هذه القبيلة ستقاوم جنود الإسلام ، وأن الأمر لن يتم من دون قتال ، ولهذا حمل بأفراده على موضع صنمهم الفُلس ، وهو في بيت وقد ألبسوه ثياباً وثلاثة دروع وجعلوا معه سيوفاً ثلاثة تسمى : الرسوب والمخزم واليماني ، فهدمه وخرّب بيته ، وقتل من قتل من رجالهم وسبي من سبي من الرجال والنساء وكان من السبايا اخت عدي بن حاتم ونساء معها من آل حاتم ، ثم قدموا بهم إلى المدينة فأنزلت أخت عدي دار رملة بنت الحارث ، وكساه رسول الله وأعطاهما ناقة ونفقة وخرجت إلى الشام فالتحقت بأخيها<sup>(٤)</sup> .

قال

عديّ : فبينما أنا في أهلي وإذا بظعينة تؤمّ صوبنا حتى وقفت علي فاذا هي ابنة حاتم اختي [ سفانة ] فأخذت تقول لي : الظالم القاطع ! احتملت بأهلك وولدت وتركت بقية والدك وعورتك ! فقلت لها : اي أخية لا تقولي  
إلاً خيراً فوالله مالي  
من عذر ! لقد صنعت ما قلت ثم سألتها عن رسول الله فقلت لها : ما ترين في أمر هذا الرجل ؟ ! قالت : والله أرى أن تلحق به سريعاً ، فان يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن

(١) مغازي الواقدي ٢ : ٩٨٨ .

(٢) راجع مغازي الواقدي ٢ : ٩٨٨ . و السيرة لابن اسحاق ٤ : ٢٢٥ .

(٣) كان يقال لقوم بين النصارى والصابئين : الركوسيين ، كما في هامش السيرة .

(٤) راجع مغازي الواقدي ٢ : ٩٨٥ .

ثم

ملكاً فلن تذلّ في عز اليمن وأنت أنت . فقبلت قولها ،  
خرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله في مسجده فسلمت عليه ،.....وأستمت <sup>(١)</sup> .

---

(١) ابن اسحاق في السيرة ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧ واختصر خبره الطبرسي في اعلام الوری ١ : ٢٥٢ .

## القبس الخامس عشر

### غزوة تبوك واستخلاف على عليه السلام على المدينة

(٢٩ / رجب / السنة التاسعة للهجرة)

لقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صдаه في خارج الحجاز، وكان ذلك يُرعب الأعداء، ويدفعهم إلى التفكير في حيلة. وهذا ما دفع إمبراطور الروم إلى أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهياً بكل ما أوتي من قوة لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، ليحدّ من انتشار الإسلام، ومن قوته التي أخذت تتعاضد، ومن انتشار نفوذه الذي بات يزلزل سلطانه. فحشد ما يقارب أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث الأسلحة والتجهيزات، وقد استقرّ على الشريط الحدودي لأرض الشام في منطقة (تبوك)، حيث كانت تحت سيطرة إمبراطورية الروم.

ولما حملت الأنباء هذا الخبر إلى النبي ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، فجهّز جيشه وعسكر في (ثنية الوداع)، وكان يتألف من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وقد أمر رسول الله ﷺ أن يتخذ كل قبيلة راية لنفسها<sup>(١)</sup>.

### المتخلفون عن القتال

تخلّف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة، فمنهم الجدّ بن قيس - وكان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة - حيث قال له رسول الله ﷺ: يا أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟، فقال ابن قيس: يا رسول الله أو تأذن لي، ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما أحداً أشدّ عجباً بالنساء مني، وإني لأخشى أن رأيت بنات بني الأصفر (الروم) لا أصبر عليهن. فأعرض عنه رسول الله ﷺ بعد أن سمع منه ذلك العذر الصياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، كما تخلّف عن النبي ثلاثة حتى يفرغوا من قطاف التمر وحصاد الزرع، ثم يلتحقوا به، فوبّخهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ

(١) السيرة لابن هشام ٢: ٥١٥-٥١٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٩.



الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾

وتخلف أيضاً جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان.

### استخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة

لم يغزو النبي ﷺ غزواً إلا كان علي عليه السلام معه وحامل لوائه، غير أن النبي ﷺ في هذه المرة منع علياً من الخروج من المدينة معه، لأنه ﷺ كان يدرك جيداً أن المنافقين والمتربصين والمتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون على الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأن هذه الفرصة إنما تسنح لهم إذا قصد رسول الله ﷺ مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بالمدينة، ولقد كانت تبوك أبعد نقطة يخرج إليها النبي ﷺ من جميع غزواته، فخوفاً من أن يقلبوا الأوضاع في غيابه ترك فيها علياً، على الرغم من أنه استخلف على المدينة (محمد بن مسلمة)، حيث قال لعلي: «أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بى وبكى»<sup>(١)</sup>.

ولقد استاء المنافقون من إبقاء علي عليه السلام في المدينة، وحاولوا بثّ الدعايات والشائعات الخبيثة بغية تحريض علي عليه السلام على الخروج من المدينة والالتحاق بالنبي ﷺ، فقالوا: ما خلف رسول الله علياً إلا استثقلاً له وتخفيفاً منه، أو أنه دعاه إلى الخروج لتبوك، ولكن علياً امتنع من الخروج بحجة الحر الشديد، وبُعد الطريق، وإيثاراً للدعة والراحة والرفاهية، أو أنه خلفه مع النساء والأطفال.

ولإبطال مثل هذه الشائعات توجه علي عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني، أو تخففت مني، أو خلفتني مع النساء والأطفال. فقال له النبي ﷺ: كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضي يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي - أو قال له: لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة التوبة: الآية ١١٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٢٠، بحار الأنوار ٢١: ٢٠٧،

(٣) مسند أحمد ١: ٧٠٩ ح ٣٠٦٢، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٩ ح ٨٤٢٩.

## النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك

حلّ جيش الإسلام في أرض تبوك في غرة شعبان في السنة التاسعة للهجرة، ولكن لم يرَ أثراً لجيش الروم، وكأنّ جيش الروم لما علموا بكثرة جنود الإسلام، وكانوا قد سمعوا عن شجاعتهم وتضحياتهم الفريدة، رأوا أنه من صالحهم الانسحاب، وعدم دخول حرب قد تكسر شوكتهم وكبريائهم وعظمتهم<sup>(١)</sup>.

وهنا كان النبي ﷺ أمام خيارين، فإما أن يقفل راجعاً إلى المدينة، وكأنّ شيئاً لم يقع، وإما أن يهاجم الروم عبر الدخول في أراضي الشام، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فقالوا: إن كنت أمرت بالسير فسر، فقال ﷺ: لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه. فأشاروا عليه بالرجوع إلى المدينة، فقبل النبي اقتراحهم وأقفل راجعاً بجيشه<sup>(٢)</sup>.

وشاءت المصلحة الإلهية أن لا يغزو النبي ﷺ ولكن هذا السفر كان بمثابة التمهيد لفتح الشام، فقد تعرّف قادة هذا الجيش طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وتعلموا كيفية تجهيز الجيوش الكبرى في وجه القوى العظمى، ولعله لذلك، كانت الشام أول منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ.

## القبس السادس عشر

### على ﷺ يبلغ سورة براءة في الحج

(١٠ ذي الحجة / السنة التاسعة للهجرة)

أرسل النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام في اليوم الثالث من السنة التاسعة للهجرة إلى مكة بالآيات الأولى من سورة براءة ليقرأها على كفار مكة، فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقه رسول الله ﷺ العُضباء (القُصواء)<sup>(٣)</sup> ولحق بأبي بكر وأخذها منه،<sup>(١)</sup> وعاد أبو بكر إلى النبي ﷺ في المدينة مستفسراً عن الأمر؟

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠١٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٤٢.

(٣) الناقة العُضباء : القصيرة اليدين ، وكانت مشقوقة الاذن . مجمع البحرين ، وروي الواقدي : أن الناقة كانت القُصواء

قال المفيد في « الارشاد » : فلما رآه فزع من لحوقه به ، فاستقبله وقال له : يا أبا الحسن ، فيم جئت ؟ أسائر معي أنت ؟ ! أم لغير ذلك ؟ فقال علي (عليه السلام) : إن رسول الله أمرني أن الحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم ، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه . فقال أبو بكر : بل أرجع إليه . وعاد الى النبي (صلي الله عليه وآله) . فلما دخل عليه قال له : يا رسول الله ، إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليّ ، فلما توجهت له رددتني عنه ، مالي ؟ أنزل في قرآن ؟ فقال (صلي الله عليه وآله) : لا ، ولكنّ الأمين هبط إليّ عن الله جلّ جلاله ، بآئه : لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك ، وعلى متي ، فلا يؤدّي عني إلا علي<sup>(٢)</sup> . وروي القمي عن علي (عليه السلام) قال : إن رسول الله أمرني أن أبلغ عن الله : أن لا يطوف بالبيت عريان . ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام . وأن أقرأ عليهم : ( بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ × فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ... ) فأحلّ الله للمشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا الى مآمنهم ، ثم يقتلون حيث وجدوا<sup>(٣)</sup> .

وانطلق علي (عليه السلام) حتى قدم مكة ، ثم وافى عرفات ، ثم رجع الى جَمْعِ المزدلفة ثم الى منى ، فذبح وحلق ، ثم صعد علي الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات : يا أيها الناس ، ألا تسمعون ، إني رسول رسول الله اليكم ، ثم قرأ : ( بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ × فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ × وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ) الى تسع آيات من أولها الى قوله ( إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) . ثم لمع بسيفه فكررها وأسمع الناس . فقال الناس : من هذا الذي ينادي في الناس ؟ فقال من عرفه من الناس : ما كان ليجتري علي هذا غير عشيرة محمد ، وهذا ابن عمّ محمد علي بن أبي طالب ! فناده بعضهم : أبلغ ابن عمك : أن ليس له عندنا إلاّ ضرباً بالسيف وطعنًا بالرمح<sup>(٤)</sup> .

ولم يوح الى رسول الله (صلي الله عليه وآله) شيء في أمر علي (عليه السلام) وما كان منه ، وأبطأ عنه خبره ، وكان (عليه السلام) في رجوعه مقتصدًا في سيره . فاغتم لذلك النبيّ (صلي الله عليه وآله) غمًا شديدًا

(١) في تفسير فرات الكوفي : ١٥٨ ح ١٧ عن الصادق (عليه السلام) : بلغ المحففة . وفي : ١٦٠ ح ٢٧ عن ابن عباس : بذى الخليفة .

وكذلك في خبرين عن مسند أحمد في الطرائف وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ٣٠٥ .

(٢) الارشاد ١ : ٦٥ ، ٦٦ ، ومناقب الحلي عن ابن عباس ٢ : ١٢٦ .

(٣) تفسير القمي ١ : ٢٨٢ ومثله عنه (عليه السلام) في مجمع البيان ٥ : ٧ عن الحاكم الحسكاني .

(٤) الاقبال ٢ : ٣٩ .

حتى رُئي ذلك في وجهه، فقال بعضهم لأبي ذر : قد تري ما برسول الله ، وقد نعلم منزلتك منه ، فنحن نحِبُّ أن تعلم لنا أمره ، فسأل أبو ذرَّ النبيَّ عن ذلك ، فقال : ما نُعيِت إلى نفسي ، وما وجدت في أمِّي إلاَّ خيراً ، وما بي مرض ، ولكن من شدة وجدى لعليَّ بن أبي طالب وإبطاء الوحي علىَّ في أمره . فاستأذنه أبو ذر ليخرج من المدينة في حاجته فأذن له .

فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل على بن أبي طالب (عليه السلام) ، فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب ناقه مقبلاً فإذا هو على (عليه السلام) ، فاستقبله والتزمه وقبَّله وقال : بأبي أنت وأُمِّي ، اقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أبشِّر رسولَ الله ، فان رسول الله من أمرك في غم شديد . فأنعم له على (عليه السلام) . فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبيَّ فقال له : البشري . قال : وما بشراك يا أبا ذر ؟ قال : قدم على بن أبي طالب . فقال له : لك بذلك الجنة ، ثم ركب النبيَّ (صلي الله عليه وآله) وركب معه الناس . فلما رآه على (عليه السلام) أناخ ناقته ، ونزل رسول الله ، فتلَّقَّاه والتزمه وعانقه ووضع خدَّه علي منكب على ، وبكي النبي (صلي الله عليه وآله) فرحاً بقدومه وبكي معه على (عليه السلام) ثم قال له رسول الله : ما صنعت بأبي أنت وأُمِّي ، فان الوحي أبطى علىَّ في أمرك ؟ فأخبره بما صنع ، فقال رسول الله : كان الله عزَّ وجل أعلم بك ممَّنِي حينأمرني بارسالك<sup>(١)</sup> .

والحادثة تشير بوضوح إلى فضل أمير المؤمنين عليه السلام عند الله عز وجل وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله وقد ورد في بعض النصوص كما في (مسند أحمد بن حنبل) : أن علياً عليه السلام قال : يا رسول الله صلَّى الله عليه وآله لست خطيباً، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله : لا محيص عن ذلك، فإما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال على عليه السلام : إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها، فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله : انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك<sup>(٢)</sup> ، كما أنه تشير إلى الأمور التالية :

أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذي الحجة وتنتهي باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة .  
ثانياً: إن الأمر الإلهي بالبراءة من المشركين أعلن من خلال آيات من سورة براءة (التوبة) إعلاناً عاماً

(١) الاقبال ٢ : ٣٨ - ٤١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٣٣١ .

أمام الناس كافة: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(١)</sup>. فقد تصرف الوحي والرسول ﷺ مع المشركين كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام.

**بيان وتوضيح:** إن البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختص بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة، وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام. ولذا أمر الإمام الخميني قُدس سرّه أن تقام مراسم البراءة في كل عام من موسم الحج، وكان قُدس سرّه من خلال بياناته السنوية التي كان يوجهها إلى الحجاج في موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الإسلامي، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيحاً لمسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص.

وبالتدريج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت سيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يردّدون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من الإستكبار العالمي خصوصاً أمريكا وإسرائيل باعتبارهما من أهم مصاديق البارزة للشرك والكفر العالمي، وتدعو المسلمين إلى الوحدة حول المشتركات والمصالح العامة للأمة الإسلامية.

## القبس السابع عشر

### على بن أبي طالب عليه السلام في اليمن

(شهر رمضان / السنة العاشرة للهجرة)

أرسل النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام إلى اليمن مرتين الأولى في السنة الثامنة للهجرة، والثانية في شهر رمضان في السنة العاشرة للهجرة وإليك بيان الواقعتين باختصار.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣.

استمراراً في نشر الإسلام أرسل النبي ﷺ إلى اليمن خالد بن الوليد وجمعاً من الصحابة ليدعوا قبيلة همدان إلى الإسلام، وظل خالد نحواً من ستة أشهر دون أن يحقق نجاحاً، فلم يتمكن من إقناع همدان في اعتناق الإسلام، فبعث إلى النبي يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرافهم عنه، عند ذاك بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ وطلب منه أن يُعيد خالداً إلى المدينة ويحل محله في مهمته، ويبقى معه من يشاء من المجموعة المرسلة مع خالد.

وروي عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد وبقي في سرية علي ﷺ: كنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علياً ﷺ وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا وصلى بنا علي ﷺ ثم صفنا صفّاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعاً وأرسل علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ بالخبر السار، فخر رسول الله ﷺ ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان<sup>(١)</sup>.

وروى المفيد عن البراء بن عازب قال : بلغ الخبر همدان فتجمعوا له ، فصلّى بنا على (عليه السلام) الفجر ، ثم تقدّم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلي الله عليه وآله) ، فأسلم كل همدان في يوم واحد .

وكتب أمير المؤمنين بذلك الى رسول الله (صلي الله عليه وآله) ، فلما قرئ كتابه ابتهج واستبشر وخرّ ساجداً شكراً لله عزّ وجلّ ثم رفع رأسه فجلس ، وقال : السلام علي همدان ،السلام علي همدان ،وبعد إسلام همدان تتابع أهل اليمن علي الإسلام<sup>(٢)</sup> .

وروي: أن النبي ﷺ أرسل علياً في مهمة ثانية إلى اليمن ليدعو مذجح إلى الإسلام، وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله له اللواء وعممه بيده، وأوصاه ،

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٣٠٠، والسيرة النبوية لابن كثير ٤: ٢٠١.

(٢) الارشاد ١ : ٦٢ . ونحوه في التنبيه والاشراف : ٢٣٨ . وعليه فإسلام أهل اليمن تتابع بعد إسلام همدان ، وإسلام همدان كان علي

يد علي (عليه السلام) في شهر رمضان ، وابن الأثير ذكر ذلك في السنة العاشرة ، وأشار اليه المجلسي في بحار الأنوار ٢١ : ٣٦٣ .

وقال له : يا علي ، لا تقاتلنَّ أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وإيم الله لئن يهدي الله علي يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت <sup>(١)</sup>.

فلما دخل إلى بلاد مذحج؛ دعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعد علي عليه السلام أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فتركهم، ثم دعاهم إلى الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: له نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

ثم إن علياً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم الباقي على أصحابه، وبلغه خبر خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة لأداء فريضة الحج، فتعجل عليه السلام السير ليلتحق بالنبي صلى الله عليه وآله في مكة، وروي أن بعض من كان في سرية علي عليه السلام اشتكى من شدته في إعطاء الحق، فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله ذلك قال: أيها الناس، لا تشتكوا علياً فو الله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى منه <sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن شاس الأسلمي أنه قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله التي بعثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فوجدت في نفسي عليه <sup>(٣)</sup>، فلما قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد، فلما رأيته أنظر على عينيه نظر غلي حتى جلست إليه، فقال: إيه يا عمرو، لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام من أن أؤذي رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: «من آذي علياً فقد آذاني» <sup>(٤)</sup>، وبعد ما أتم الإمام عليه السلام المهمة في اليمن التحق بالنبي صلى الله عليه وآله في مكة لأداء مناسك الحج وهي حجة الوداع التي نصب النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي خليفة من بعد إتمام المناسك وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم وسيأتي تفصيل ذلك.

(١) الكافي ٥ : ٨ ب ١ ح ١٤ و ٣٦ ب ١٤ ح ٤ ، والفتاوى ٢ : ١٧٣ ب ٦٧ ح ٢ ، والتهذيب ٦ : ١٤١ ب ٦٢ ح ٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ٦٠٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠٥ .

(٣) المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٣٤ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠٢ .

## القبس الثامن عشر

### يوم غدیر خم<sup>(١)</sup>

(١٨ ذی الحجة/السنة العاشرة للهجرة)

أجمع رسول الله ﷺ الخروج إلى الحج في سنة عشر من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتون به في حجته تلك التي يطلق عليها حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام<sup>(٢)</sup>، ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله سبحانه.

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدیر خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرائيل الأمين ﷺ عن الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾<sup>(٣)</sup>، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمّرات<sup>(٤)</sup> خمس مقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقم ما تحتهن، حتى إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهن، فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء. وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس،

---

(١) اقتباساً وتلخيصاً من كتاب (الغدیر) للمؤلف نفسه، من إصدار المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ والذي صدر أيضاً باسم ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة.

(٢) الغدير، للأميني ١: ٩، إن الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، كما أن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٤) سمّرات، جمع سمرة: شجرة الطلح.



فلما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيباً وسط القوم<sup>(١)</sup> على أقتاب الإبل<sup>(٢)</sup>، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال ﷺ:

«الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيّها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإنّي أوشك أن أدعي فأجيب، وإنّي مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأنّ الموت حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟».

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد»، ثم قال: «أيّها الناس ألا تسمعون؟» قالوا: نعم. قال: «فإنّي فرط<sup>(٣)</sup> علي الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصري<sup>(٤)</sup>، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين<sup>(٥)</sup>.

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله ﷺ؟

قال: «الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتي يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا».

ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها حتى رُئي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: «أيّها الناس من أولي الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنّ الله مولاي، وأنا مولاي المؤمنين، وأنا أولي بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٦، وتاريخ آل زرارة لابن غالب الزراري ٢: ٨٤.

(٢) ثمار القلوب ٥١١-٦٣٦ رقم ١٠٦٨، المستدرک للحاكم ٣: ٥٣٣.

(٣) الفرط: المتقدم قومه الى الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ١: ٤٥.

(٤) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصري: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٥) الثقل: كل شيء خطير نفيس. راجع تاج العروس للزبيدي ٧: ٢٤٥.

مولاه»، يقولها ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات - ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾<sup>(١)</sup>.

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر علي إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتى، والولاية لعلّى من بعدى».

ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وممن هنأه في مقدمة الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق القوم.

فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ، فقال: «قل علي بركة الله». فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله ﷺ في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبهم	بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليكم؟	فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدنّ منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله ﷺ: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»، هذا مجمل القول في واقعة الغدير.

## الإستشهاد بواقعة الغدير

قد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الواقعة العظيمة أمام الناس كافة في زمن خلافته عدة مرات - كما ذكر ذلك المؤرخون - منها ما روي عن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام اثنا عشر بديراً، ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك. قال زيد بن أرقم: «وكننت أنا فيمن سمع ذلك فكنتمته، فذهب الله ببصري»، وكان يتندم على ما فاتته من الشهادة ويستغفر<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما روي عن طلحة بن عميرة قال: نشد علي عليه السلام الناس في قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلى مولاه» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أنس، قال: لبيك، قال: «ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا؟» فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إن كان كاذباً فاضربه بياض - أو بوضح - لا تواريه العمامة» قال طلحة بن عميرة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين عينيه<sup>(٢)</sup>.

## عيد الغدير في التاريخ الإسلامي

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حي يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتاب الإسلاميون في كل عصر وزمان، ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة، في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ والشعراء في قصائدهم، ويعتبرونها من فضائل الإمام علي عليه السلام الذي لا يتطرق إليها أي شك أو ريب.

إن من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحدث العظيم هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها<sup>(٣)</sup>، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فسوف تبقى

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٤، ١٩: ٢١٧، والمعارف لابن قتيبة: ٣٢٠، وحديث من كنت مولاه ومناشدة أمير

المؤمنين عليه السلام يطلب من كتاب الغدير الجزء الأول.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣ و ٦٧.

هذه الحادثة حيّة في العقول والقلوب.

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفة، لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى.

وقد عدّه أبو ریحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد<sup>(١)</sup>.

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنة)، وهو يوم غدیر خم؛ لمّا أخذ النبي صلّى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ وَانصَرَ مِنْ نَصْرِهِ»، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة<sup>(٢)</sup>.

والثعالبي أيضاً قد اعتبر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين<sup>(٣)</sup>.

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي وجذوره ترجع إلى نفس يوم الغدير؛ لأن النبي صلّى الله عليه وآله أمر المهاجرين والأنصار بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النبي صلّى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس<sup>(٤)</sup>.

ويكفي أهميّة هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة من الصحابة<sup>(٥)</sup>.

### حديث الغدير لا يقبل التأويل

زعم البعض أنّ النبي صلّى الله عليه وآله لم يقصد من عمله ومما قاله في يوم الغدير أن ينصبّ علياً عليه السلام ولياً، بمعنى كونه قائداً للمسلمين وخليفة له من بعده، وإنما أراد أن يبيّن فضله ومنزله، فإنّ كلمة الولي تستعمل أيضاً بمعنى الناصر والصديق والحبيب، ولا ضرورة لحملها على الأولوية بالتصرّف لتكون بمعنى القائد والحاكم والمتولي لأُمور المسلمين.

(١) ترجمة الآثار الباقية: ٣٩٥، الغدير ١: ٢٦٧.

(٢) راجع تاريخ دمشق ٢: ٧٥ و ٥٧٥ - ٥٧٧. وتاريخ بغداد ٨: ٢٩٠.

(٣) ثمار القلوب: ٥١١.

(٤) راجع الغدير ١: ٢٧٠. رواه عن أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي.

(٥) الغدير ١: ٦١ و ٣١٤.

ولكن ملاحظة ظروف هذا الحدث التاريخي التي صنعها الرسول ﷺ لا تدع مجالاً لهذا التأويل، وتجعله زعمًا بلا دليل؛ فإنّ منع الألوف المؤلفة عن المسير وحسبهم في رمضاء الهجير، والاهتمام بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر عنهم، وأمرهم بأن يبلغ الشاهد منهم الغائب عنهم، ونعي نفسه المباركة إليهم، وأخذ الإقرار منهم بالتوحيد والرسالة والمعاد، وأنّه الأولى بهم من أنفسهم، إنّما ينسجم كلّ هذا مع قصده ﷺ لبيان أمر مهمّ جدًّا، فإنّ كلّ إنسان يفهم أنّه ﷺ من هذا الاستعداد والإعداد إنّما كان يقصد أمراً مهمّاً في غاية الأهمية، ويرتبط به مصير الأمة أيّما ارتباط.

هذا فضلاً عن تهديد الله سبحانه له بأنّه إن لم يبلغ هذا الأمر المهم فكأنّه لم يبلغ رسالته التي جاهد لها ليل نهار طيلة ثلاثة وعشرين عاماً..

ويا ترى ما هو هذا الأمر المهم الذي وعده الله بأنّه يعصمه من الناس حين يبلغه؟  
فهل هناك خطر في تبليغ المفاهيم التي لا ترتبط بأمر القيادة الخطير حتى يحتاج الرسول ﷺ إلى من يعصمه من الناس؟

ومن هم الناس الذين يحتاج الرسول ﷺ إلى أن يعصمه الله تعالى منهم لو بلغ ما أمر به؟  
وهكذا نعرف أنّ أيّ تأويل لهذا الحديث الصريح في معناه سخيّف جدًّا، وإنّما يستهدف قائله الفرار من الحجّة البالغة التي أكّدها الرسول ﷺ بصريح كلامه في مجال تعيين القيادة النابتة عنه على الأمة المسلمة من بعده، وإنّه لم يترك أمر الخلافة الخطير ولم يُهمَل بيان حكم هذا الموقع السياسي الجليل في مثل تلك الفرصة التاريخية التي كانت أمامه يوم الغدير.

والذي يثبت زيف وبطلان هذا التأويل هو فهم الصحابة الكبار لهذا النص - من أمثال أبي بكر وعمر وحسان بن ثابت وغيرهم ممّن حضروا هذه الواقعة التاريخية بأنفسهم - وسمعوا من النبي ﷺ ذلك ووعوه وفهموا منه أنّه كان يعني القيادة للأمة والتصرف في أمورهم لا غير، وقد تعرّز فهمهم هذا بمواقف فعلية من قبلهم حسب هذا الفهم.

### بيان وتحليل لواقعة الغدير

الإسلام دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة تتضمن كل ما تحتاجه البشرية في الحياة. وقد كانت قيادة الأمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم ﷺ ما دام حيًّا، ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا للأمة بعد النبي ﷺ، وتوكل هذا الأمر إلى الصّدف والأهواء والرغبات أو إلى الاجتهادات الشخصية للصحابة الذين تختلف آراؤهم واجتهاداتهم واتجاهاتهم حيث ينتهي الأمر

حينئذ بلا ريب إلى الاختلاف والتشتت وانحيار الدولة الإسلامية بشكل عام .  
فلا يمكن للرسول الخاتم لمسيرة المرسلين جميعاً وللشريعة الإسلامية الخالدة أن يهمل هذا الأمر الخطير .

ومن هنا كان التنصيب من سيد المرسلين ﷺ على من يتحمل مسؤولية القيادة من بعده أمراً طبعياً ولازماً ومتوقفاً للمسلمين جميعاً .

فمن هذا الذي نصّ الرسول ﷺ على أنه القائد للأمة الإسلامية من بعده ؟ ومتى نصّ الرسول ﷺ على ذلك ؟ وكيف تم هذا التنصيب منه ؟

إن أهل البيت عليه السلام وأتباعهم يعتقدون بأن القيادة العليا للأمة الإسلامية وخلافة الرسول ﷺ منصب ربّاني ينصّ عليه الرسول ﷺ بأمر من الله تعالى ولم يتركه الله ورسوله إلى الانتخاب الشعبي والرأي العام ما دام الرسول القائد وخليفته يحكمان الشعب باسم الله تعالى وباسم دينه القويم ..

وقد اختار الله ورسوله أفضل أفراد الأمة بعد الرسول ﷺ ونصّ على إمامته وقيادته للأمة من بعده، منذ بدايات الدعوة الإسلامية وظلّ يواصل طرحها ويمهّد لها ولطرحها العام خلال العهدين المكي والمدني بدءاً بيوم الإنذار والى يوم رجوعه من حجة الوداع بل وبشكل خاص في الثامن عشر من ذي الحجة السنة ١٠ للهجرة بعد إنذار إلهي صريح وفيما بعد ذلك وحتى في يوم ارتحاله ﷺ .

بينما يرى الخط الذي استلم الحكم بعد الرسول ﷺ أن الخلافة لم تكن منصباً ربّانياً ولا حاجة للتنصيب فيها، بل يمكن لأن تقرر من قبل المسلمين حتى عدد قليل منهم لتكون الخلافة لهذا الشخص أو ذاك .

إن الأوضاع السياسية داخل الدولة الإسلامية وخارجها قبيل وفاة النبي ﷺ كانت تتطلب أن يعيّن النبي ﷺ بأمر من الله تعالى خليفة له من بعده؛ إذ المنافقون وأهل الكتاب في داخل أراضي الدولة الإسلامية من جهة، والدولة البيزنطية وسائر القوى المشتركة خارج الدولة الإسلامية من جهة أخرى كانوا يشكّلون عدة مراكز للخطر الداهم ضد المسلمين .

إنّ هذا الوضع الاجتماعي والسياسي يفيد: أنّه كان ينبغي للرسول الأعظم ﷺ أن يمنع من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق في المجتمع من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية، وذلك بإيجاد حصن قوي متين حول تلك الأمة، من خلال تعيين قائد كفوء لها ليمنعها من التشتت والفرقة واختلاف الكلمة وتنازع الأهواء .

فإنّ تحصين الأمة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، وعدم السماح لأصحاب الأهواء ليطالب كل فريق بالزعامة لنفسه، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة والحكم وقيادة الأمة سياسياً لم يكن ليتحقق إلاّ بتعيين قائد كفوء للأمة من قبل مكوّن الأمة وربّانها وقائدها الأوّل، وعدم ترك الأمور للصُدَف والأهواء.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «ضرورة التنصيب على القائد بعد رسول الله ﷺ» وتحقّقها وعمل الرسول ﷺ بها.

ومن هنا نعرف السرّ في طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، يوم لم يكن قد انضوى تحت راية رسالته سوى عدد قليل جداً ممّن أعلن إسلامه وآمن برسالة ربّه. كما نعرف السرّ في مواصلة طرحها من قبله ﷺ والتذكير بها طوال حياته وحتى الساعات الأخيرة منها. وقد كان أبرزها يوم الثامن عشر من ذي الحجة السنة (١٠) للهجرة، الذي عرف فيما بعد بيوم الغدير، أو يوم غدير خمّ.

## القبس التاسع عشر

### تصدق الإمام على ﷺ بالخاتم

(٢٤/ ذي الحجة/ السنة العاشرة للهجرة)

جاء في تفسير (مجمع البيان)، وتفسير وكتب أخرى، نقلاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في حوار جرى بينهما في المسجد الحرام أمام الناس أنه قال: أيها الناس من لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ بأذنيّ هاتين وإلا صُمّتا، ورأيت بعينيّ هاتين وإلا كُفّتا، أنه قال: «علي قائد البرّة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله».

وأضاف أبو ذر رضي الله عنه أنه كان في أحد الأيام يصلي مع النبي ﷺ فدخل سائل إلى المسجد وطلب إعانة من الناس، لكن لم يقدم له أحد شيئاً، فرفع هذا السائل يده إلى السماء وقال: «اللهم اشهد بأني طلبت العون في مسجد رسولك ولم يرد عليّ أحد بشيء»، وكان علي رضي الله عنه يصلي في ذلك الوقت وهو في حالة الركوع، فأشار بخنصره الأيمن، فتقرب السائل فانتزع خاتماً كان في تلك الخنصر، وقد شاهد النبي ﷺ ذلك وهو في حالة الصلاة وما أن فرغ رضي الله عنه من صلاته حتى رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه قائلاً، بما مضمونه: «اللهم إن أخى موسى سألك أن تشرح له صدره وتيسر له أمره

وتحلل عقده من لسانه ليفقه الناس قوله وسألك أن تجعل هارون أخاه وزيراً له ليشد أزره  
ويشاركه في أمره، اللهم وإنى نبيك الذى اصطفيته، فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل  
لى من أهلى علياً عليه السلام وزيراً لتشد به أزرى...».

قال أبو ذر: «وما كاد النبي صلى الله عليه وآله ينهي دعاءه حتى نزل عليه جبريل وقال له: اقرأ.. فسأل النبي صلى الله عليه وآله:  
ماذا أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>».

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة، وقد صرح البعض بقصة التصديق بالخاتم واكتفى آخرون  
بتأييد نزول الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل هذه الروايات ثلة من كبار الصحابة كابن  
عباس، وعمار بن ياسر، وعبد الله ابن سلام، وسلمة بن كهيل، وأنس بن مالك، وعتبة بن حكيم،  
وعبد الله بن أبي، وعبد الله بن غالب، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري.

والقضية بدرجة من الوضوح بحيث أن حسان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية في قالب شعري  
من نظمه قاله في حق أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعياً	زكاة فدتك النفس يا خير راع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وبيّنها في محكمات الشرائع

ولمزيد الإطلاع على هذه المسائل يمكنك مراجعة (التفسير الأمثل) الجزء الرابع في تفسير سورة  
المائدة الآية ٥٥.



## القبس العشرون

### الإمام على عليه السلام في يوم المباهلة

(٢٥/ذي الحجة/السنة العاشرة للهجرة)

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي ﷺ الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه عليه السلام فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي ﷺ العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «عبد الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له - يا محمد - أباً ولده؟ فقال النبي عليه السلام: «لم يكن عن نكاح فيكون له والد»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فتلاها النبي ﷺ على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة، وقال ﷺ: «إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل علي المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك» فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فانفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلتة، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء.

فلما كان من الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عبرت عنه الآية بنفس النبي ﷺ والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفهم، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم.

فلما رأى الأسقف النبي ﷺ قد أقبل بمن معه، سأل عنهم، ف قيل له: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب وهو نفسه وصهره وأبو ولده وأحب الخلق إليه، وهذان الطفلان ابنا بنته من علي وهما من أحب الخلق إليه وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس إليه وأقربهم إلى قلبه.

ونظر الأسقف إلى العاقب والسيد وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصته من ولده

وأهله لياهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه، فاحذروا مباهلتة، والله لولا مكان قيصر لأسلمت له، ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم وبينه. وارجعوا إلى بلادكم وارتؤوا لأنفسكم، فقالوا له: رأينا لرأيك تبع، فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكننا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي ﷺ على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بما صالحهم عليه.

وفي هذا اليوم (٢٥ من ذي الحجة) كان نزول سورة (هل أتى) <sup>(١)</sup> في شأن أهل البيت ﷺ حيث صاموا ثلاثة أيام، نذراً لله لشفاء الحسين ﷺ وأعطوا فطورهم مسكيناً ويثماً وأسيراً وأفطروا على الماء وقد مدحهم القرآن ووضعهم في قمة الإيثار والتقوى وعرضهم نماذج وقدوة للبشرية ليقبليهم الأجيال وتسير على نهجهم.

### القبس الواحد والعشرون

#### الإمام علي عليه السلام عند وفاة النبي ﷺ

(٢٨ صفر / السنة الحادي عشر للهجرة)

بعد انتهاء موسم الحج سنة العاشرة من الهجرة الذي عرف واشتهر بحجة الوداع رجع النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة ف قضى فيها بقية أيامه وكانت شهران وتزيد قليلاً، وفي هذه الفترة عبأ جيش أسامة وضم إليه وجوه الصحابة وأبقى علياً عليه السلام معه إلا أن الكثير منهم استنكفوا فشدد عليهم الأمر بالرحيل معه فخرجوا حياءً ثم عادوا محتجين بخشيتهم عليه وذلك لمرضه ﷺ، وحين اجتمعوا عنده قال لهم بعد أن وبخهم على عدم إنفاذ جيش أسامة قال لهم: «إيتوني بدواة وكتف، أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى أبداً»، فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر: ارجع، فإنَّ الرجل يهجر، وفي رواية أخرى قال: إنَّ رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله <sup>(٢)</sup>!

(١) وتسمى سورة الدهر وسورة الإنسان.

(٢) - روي الحديث في بحار الأنوار ٣٠: ٧٠ بخمس طرق عن صحيح البخاري كتاب العلم ، وبثلاثة طرق عن صحيح مسلم، منها عن جابر بن عبد الله الأنصاري وسائرهما عن ابن عباس ، والطبري ٣: ١٩٢ .

وكم كانت الأمة بحاجة ماسة الى كتاب الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا، حتى أن ابن عباس كان يأسف كلما يذكر ذلك ويقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله<sup>(١)</sup>.

وكان علي<sup>عليه السلام</sup> حينذاك لا يفارق رسول الله<sup>ﷺ</sup> إلا لضرورة أو للقيام ببعض شئون رسول الله<sup>ﷺ</sup>، وفي آخر ساعاته<sup>ﷺ</sup> أفاق فلم يجد علياً<sup>عليه السلام</sup> فقال النبي<sup>ﷺ</sup>: «ادعوا لي أخى وصاحبى»<sup>(٢)</sup> فقالت أم سلمة: «ادعوا له علياً إنه لا يريد غيره، فلما دنا علي منه أوماً إليه فأكب عليه فناهجه رسول الله<sup>ﷺ</sup> طويلاً، فقبل لعلى<sup>عليه السلام</sup> ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن فقال<sup>عليه السلام</sup>: «علمنى ألف باب من العلم يفتح لى كل باب ألف باب وأوصانى بما أنا قائم به إن شاء الله»<sup>(٣)</sup>.

ثم فتح رسول الله<sup>ﷺ</sup> عينيه وقال لعلى<sup>عليه السلام</sup>: «يا على ضع رأسى فى حجرى فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسى فتناولها بيدك واسمح بها وجهك». ثم فاضت روح رسول الله<sup>ﷺ</sup> ورأسه على صدر علي<sup>عليه السلام</sup>، يقول علي<sup>عليه السلام</sup> في نهج البلاغة: «لقد قبض رسول الله<sup>ﷺ</sup> وإن رأسه لعلى صدرى، ولقد وليت غسله والملائكة أعوانى...»<sup>(٤)</sup>.

وأفاد المفيد في «الارشاد» أن علياً<sup>عليه السلام</sup> (عليه السلام) لما أراد غسل رسول الله<sup>ﷺ</sup> (صلى الله عليه وآله) استدعى الفضل بن العباس فعصّب على عينيه - حسب وصية النبي - وأمره أن يناوله الماء لغسله. ثم شق قميصه من جيبه حتى سرتّه، وتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه<sup>(٥)</sup>.

ثم أمر الناس أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فيصلّون عليه ثم يخرجون، ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ووقف أمير المؤمنين في وسطهم فقرأ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) فيقرأون كما يقرأ، حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي<sup>(٦)</sup>.

وكان المسلمون في المسجد يخوضون في من يؤمّمهم في الصلاة عليه، وأين يدفن؟! فخرج إليهم أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> فقال لهم: «إن رسول الله<sup>ﷺ</sup> إمامنا حياً أو ميتاً»، فدخل إليه فوج إثر فوج فيصلّون عليه بغير إمام فينصرفون، ثم أردف<sup>عليه السلام</sup> قائلاً: «وإن الله تعالى لم يقبض نبياً فى مكان إلا وقد ارتضاه

(١) - الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤، صحيح البخاري ١: ٢٢، كتاب العلم.

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٠.

(٤) نهج البلاغة: من كلام له<sup>عليه السلام</sup> رقم ١٩٧.

(٥) الارشاد ١: ١٧٨ وروى ابن اسحاق في السيرة ٤: ٣١٢.

(٦) أصول الكافي ١: ٤٥٠ و ٤٥١ ح ٣٥ و ٣٨، ورواه ابن اسحاق عن ابن عباس.

لرمسه فيه، وإنى دافنه فى حجرته التى قبض فيها»، فسلم القوم لذلك ورضوا به <sup>(١)</sup>. ثم نزل علي (عليه السلام) القبر فكشف عن وجه رسول الله ووضع خده على الأرض موجّهاً الى القبلة عن يمينه، ثم وضع اللبن على اللحد، ثم خرج وهال عليه التراب <sup>(٢)</sup>، ورفع من الأرض قدر شبر وأربع أصابع ورش عليه الماء <sup>(٣)</sup>.

واستثمرت قريش ومعهم الأوس والخزرج انشغال علي عليه السلام وبني هاشم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله والعزاء فاجتمعوا في السقيفة، وانتهى الأمر إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة ثم ألزموا الناس البيعة فاعترضهم بعض الصحابة، وكان منهم سهل بن حنيف حيث قال: «يا معشر قريش أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده وقد أخذ بيد علي وقال: يا أيها الناس هذا إمامكم بعدي ووصي في حياتي وبعد وفاتي... فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله» وقال لهم أبو أيوب الأنصاري: اتقوا الله عباد الله، ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أهل بيتي أئمتكم بعدي، ويومئ إلى علي عليه السلام ويقول: هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله ومنصور من نصره» <sup>(٤)</sup>، وقام غيرهما من الصحابة ونقلوا ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله منهم أبو الهيثم بن التيهان وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وغيرهم، إلا أن قريش لم تستجب لهم. خرج علي عليه السلام للمسلمين وأخبرهم أنه الأحق بالخلافة واحتج عليهم بأمور إلا أنهم حاولوا إرغامه على البيعة فاعتزلهم بعد أن حشم المسلمين على نصرته والوقوف معه، وحين اعتزلهم جمع القرآن ورتبه بحسب النزول وذيله بتفسير ما غمض من آياته. وظل علي عليه السلام مهادناً للخلفاء وكان مرجعاً لهم، كلما استعصى عليهم أمر يتصل بالدين أو إدارة الحكم حتى قال عمر في أكثر من ثلاثمائة مورد «لولا علي لهلك عمر» <sup>(٥)</sup>.

(١) - راجع الطبقات الكبرى ٢: ٥٣، والإرشاد للمفيد ١: ١٨٧، وأعيان الشيعة ١: ٢٩٥.

(٢) الارشاد ١: ١٨٨.

(٣) قرب الاسناد ١٣٦ ح ٥٥٥.

(٤) بحار الأنوار ٢٨: ٢٠١.

(٥) الكافي ٧: ٤٢٣. شرح نهج البلاغة ١: ١٤٠، ١٨. بحار الأنوار ٣٠: ٦٧٩، ٦٧٥، ب ٩.

## القبس الثاني و العشرون

### البيعة لعلی أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافه

(٢٤) ذي الحجة / السنة ٣٥ للهجرة)

لما وجد أمير المؤمنين عليه السلام أن الأمة قد تقاعست عن نصرته والثبات على موقفها الذي أبدته بحضور الرسول صلی الله علیه و آله في يوم الغدير، وجد أنه بين أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يرفع السيف مطالباً بحقه المشروع فيصاب الإسلام الذي دافع عنه طيلة حياته مع رسول الله صلی الله علیه و آله بكل غال ونفيس، أو يكظم غيظه ويصبر حفاظاً على كرامة الدين ومصلحة للإسلام والمسلمين، قال عليه السلام: «وظفت أرتى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر علي طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، فرأيت أن الصبر علي هاتا أحجي، فصبرت وفي العين قذي، وفي الحلق شجي، أري تراثي نهبا»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً عليه السلام: «لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصة .... ولئلاّ يصاب الدين بما تكون مصيبته علىّ أعظم من إمرتكم هذه...»<sup>(٢)</sup>

إننا نقرأ في موقفه العظيم الشجاع هذا ما يوازي مواقفه البطولية الكبيرة في الذود عن الدين بين يدي الرسول صلی الله علیه و آله، فليس الصبر في مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة بأقل مقاماً ومنزلة من مواقفه عليه السلام مع عمرو بن عبد ود المشركين ومرحب اليهود، فصبر علي عليه السلام مدة خمسة وعشرين سنة على حساب حقه في الخلافة والحاكمية على الأمة الإسلامية ولقد أعان الخلفاء الثلاثة في الحكم لأجل مصلحة الإسلام العليا، إلى أن قتل عثمان و بقيت المدينة أياماً بعد قتله والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وهو يأبى وظلّ يأبى حتى ازدحم الناس وألحوا عليه بقبول الخلافة، فقبلها وبايعوه وكان ذلك يوم ٢٥ ذي الحجة، السنة ٣٥ هـ، ولولا أن تمتّ الحجة على الإمام علي عليه السلام لما قبلها، وكان قبوله للخلافة فقط لأجل إجراء العدالة الاجتماعية في المجتمع، فقد قال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله علي العلماء أن لا يقاروا علي كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها علي غاربها»<sup>(٣)</sup>.

وهتف الناس باسم علي عليه السلام مسرورين إذ يولون عليهم خبيراً بحاجاتهم مؤمناً بحقوقهم خالصاً لهم، وقد وصف هو نفسه بيعته بالخلافة وصفاً جميلاً قال: «وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

(٢) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية.

(٣) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

(٤) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية.

وبدأ علي عليه السلام من يومه الأول يجند قواه للإصلاح ويقوم ما أعوج من شؤون الناس . فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يرى فيهم من يصلح للبقاء في عمله . وامتنع قوم عن بيعته من القرشيين وأصحاب الوجاهات والطامعين بالحكم، فهم يحقدون عليه إما حسداً وإما انتقاماً لزعامة ونفوذ وجه يرغبون فيها ولا سبيل لها على يديه، وقد أشار عليه أكثر من مرة إلى معاداة قريش له، وأعلن عن موقفه منهم قائلاً: «ما لى ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين! وإنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم!»<sup>(١)</sup>.

أجل .. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه المشاكل التي اعترضت خلافته بمنتهى الحكمة والسياسة الرشيدة، وإذا لم يكتب له النجاح في خلافته فمرد ذلك إلى عدة أسباب، أهمها أنه تولى الخلافة من المسلمين ولكنهم لم يجتمعوا على هدف واحد وغاية واحدة، وفي هذا الجو المحموم ووسط تمرّد وتحذ وكره من أكثر القرشيين ومن الأمويين، وفي مناخ سادت فيه المصالح على جميع القيم واستعملت فيه الأموال لشراء الضمائر والأنصار.

لذلك كله كان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخفى أن مرد ذلك كله لأن علياً عليه السلام لم يهادن أحداً على حساب الإسلام، أو يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنة رسوله وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل .

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

## القبس الثالث و العشرون على علي عليه السلام في معركة الجمل

(١٥ جمادى الأولى / السنة ٣٦ للهجرة)

بعد مقتل عثمان ومبايعة المسلمين للإمام علي عليه السلام، اخذت الأمور مجرى آخر، حيث أن عدالة أمير المؤمنين عليه السلام وتمسكه بالإسلام كانت لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز، وملكوا العبيد والإماء وامتلكوا الضياع وبنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدّين لمقاومة عدالة الإسلام التي لا تكتفي بحرمانهم مما ألفوه ومن استمرارهم للنهب، بل ستأخذ منهم حتى تلك الأموال التي نالوها بطريقة غير مشروعة، وجعل أولئك الذين تمنوا الموت لعثمان، وحرّضوا الناس ضده حتى أودوا بحياته، جعلهم متحدّين يطالبون بدمه، حيث اتفق طلحة والزبير ومعهما عائشة زوج النبي ﷺ، وخرجوا إلى البصرة لجمع الأنصار وإثارة الفتنة، خروجاً على إمام زمانهم.

إنها حقاً من الأمور التي تدهش العاقل، وقد بذل الإمام جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصح لهم، وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه إحدى نصائحه لطلحة والزبير، إذ يقول:

« أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما إني لم أرد الناس حتي أرادوني ولم أباعهم حتي بايعوني وأنكما ممن أرادني وباعيني وإن العامة لم تباعيني لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فإن كتمتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلي الله من قريب وإن كتمتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ولعمري ما كتمتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان وإن دفعكما هذا الأمر قبل تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما أني قتلت عثمان فيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام»<sup>(١)</sup>.

وفي البصرة - المكان الذي دار فيه القتال - استمر الإمام علي عليه السلام يبذل نصحه من أجل حقن الدماء فأرسل إلى الناكثين يدعوهم للصلح، ورأب الصدع، والتقى بالزبير، وذكره بما قال النبي ﷺ يوم قال: لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال له النبي ﷺ: «... مهلاً يا زبير ليس بعلى زهوه، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟!»<sup>(٢)</sup> فقال الزبير للإمام: بلى ولكنني نسيت ذلك. وبعد أن تذكر ما ذكره

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٢: ١٨٨.

الإمام به، انصرف إلى خارج البصرة، ولم يحارب، فقتله ابن جرموز ودفنه في وادي السباع. وبعد أن فشلت المحاولات لإخماد الفتنة التي أثارها الناكثون في البصرة تفجّر الموقف وأعلن القتال بين جيش الإمام علي عليه السلام وجيش الناكثين، لكن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة، وبما امتاز به من الروح الإنسانية، موضحاً لجماعته أحكام الشريعة الإسلامية في حق البغاة، ثم دعا ربه متسجيراً من الفتنة.

أما عن مصير طلحة فقد جاءه سهم عند الهزيمة لا يُعرف راميهِ فجرحه ثم مات، وأسفرت هذه الفتنة عن قتل (١٠ آلاف) من جيش الناكثين و (٥ آلاف) من جيش الإمام، وقد جرت المعركة في (١٠ جمادى الأولى)، وقيل العاشر من جمادى الثانية سنة (٣٦ هـ) وسميت بحرب الجمل لأن عائشة كانت تتركب فيها جملًا.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بانتصار ساحق على أهل الجمل أعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين فيها، وإنه حقاً موقف جسد فيه روح العفو والصفح، ومبادلة الإساءة بالإحسان، ثم واصل الإمام عليه السلام خطواته الإنسانية إزاء الناكثين، إذ قام بإعادة عائشة إلى المدينة المنورة معززة مكرمة على الرغم من موقفها المعاند لولي أمرها..

وبعد أن أنهى أمير المؤمنين عليه السلام حرب الجمل، وهدأت البصرة تحرك الإمام عليه السلام نحو الكوفة ليتخذها مقراً له وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

## القبس الرابع و العشرون

### على عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمةً لخلافته

(١٢ رجب / السنة ٣٦ للهجرة)

بعد أن أنهى أمير المؤمنين علي عليه السلام حرب الجمل، وهدأت الأوضاع في البصرة تحرك عليه السلام نحو الكوفة ليتخذها مقراً له بعد أن بعث برسالة أوضح لأهل الكوفة فيها تفاصيل الأحداث<sup>(١)</sup>.

وكان لاختيار الإمام عليه السلام الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباباً عديدة منها:

١- توسّع رقعة العالم الإسلامي، ولا بد أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٧٩.



الحكومة في التحرك نحو جميع نقاط العالم، وموقع الكوفة استراتيجي إلى حد كبير بالنسبة إلى هذه الجهة.

٢- تقع الكوفة في تماس مع ولاية الشام التي يتحصّن فيها معاوية بن أبي سفيان معلناً التمرد دون باقي أقطار العالم الإسلامي، فيكون وجود الإمام عليه السلام في الكوفة ضرورياً لقمع تمرد الشام، ولتهيئة السريعة أمام أي اعتداء محتمل من قبل الشام.

٣- إن الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام عليه السلام في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها، فكان عليه السلام يرى فيهم مادةً صالحة لمجتمع إسلامي سليم وقويّ بإمكانه أن يريهم لينطلق بهم إلى العالم أجمع.

٤- إن الظروف السياسية المتوترة والناجمة عن مقتل عثمان، وحرب أصحاب الجمل جعلت الإمام يستقر في الكوفة ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة التي يحكمها، وخاصة العراق ويمنع من حدوث انشقاقات محتملة في المجتمع الإسلامي بشكل عام.

وبمناسبة قدوم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة نتعرض إلى معطيات حكومته العادلة.

### معطيات حكومة الإمام علي عليه السلام:

سيرة الإمام علي عليه السلام متعدّدة الأبعاد والجوانب، فمن العسير بمكان الإمام بها جميعاً غير أننا اخترنا جانباً مهماً، وبعداً عميقاً في شخصيته المباركة ألا وهو معطيات حكومته التي أسسها على أنقاض من سبقه، حيث أنّ الاضطرابات السياسية والاقتصادية عصفت بالمسلمين إلى أن ثاروا على ولاتهم، وبعدها اتجه الناس بكلهم نحو الإمام علي عليه السلام، يطالبون إستخلافه ويصرّون على مبايعته إلا أنّ علياً عليه السلام كان يرفض لما أيقن - نتيجة لابتعاد الناس و انفصالهم الكبير عن خط الإسلام الحقيقي الأصيل بأنه من الصعب جداً ممارسته الحكم بعد ذلك الفساد والانحراف الكبيرين اللذين عصفا بالأمّة الإسلامية، وقد لا يحتمل الناس وخاصة كبار القوم تعديلاته وإصلاحاته التي يرمي إليها، ولا يطبقون عدالته، ولهذا رفض الخلافة عندما عرضت عليه.

عاش الناس مدة خمسة أيام بعد مقتل عثمان فوضى عارمة، وضياعاً كبيراً كان خلالها الناس يراجعون الإمام أفواجا تلو أفواجا، والإمام يبعد الخلافة عن نفسه، إذ يرى الظروف غير مناسبة لقبولها، وأنّ الحجة لم تتم عليه بهذا الاقتراح، فقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري..... وأنا لكم وزيراً

خير لكم مني أميراً»<sup>(١)</sup>.

غير أن الناس تراضبوا على داره وتكاثروا على مراجعته، طالبوه بالبيعة كراراً.

ولولا أن تمت الحجة على الإمام علي عليه السلام لما قبلها، فقد قال عليه السلام:

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله علي العلماء أن لا يقارّوا علي كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلاً علي غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفتة عنز»<sup>(٢)</sup>.

هذا الحكم الذي مارسه علي عليه السلام على الرغم من قصر عمره إلا أنه كان نموذجاً كاملاً للحكومة الإسلامية التي أشاد صرحها النبي ﷺ في المدينة، وعلى الرغم من أنه عليه السلام لم يصل إلى كافة أهدافه الإصلاحية التي نادى بها، نتيجة المؤامرات الداخلية التي حكت ضده إلا أنه استطاع بدون شك أن يطرح نموذجاً ناجحاً للحكومة، وفق تعاليم الإسلام ومعايير.

وفيما يلي لمحة سريعة للخطوط العريضة والمعطيات العامة لسيرته عليه السلام في الحكم:

١- من خلال أقواله الكثيرة في (نهج البلاغة) يؤكد الإمام علي عليه السلام أن قبوله للخلافة فقط لأجل إجراء العدالة الاجتماعية في المجتمع، ومكافحة الفوارق الطبقية التي تجذرت في نفوس الناس، نتيجة للحكم السابق، فقد قال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا.. ما أخذ الله علي العلماء أن لا يقارّوا علي كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلاً علي غاربها»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام عندما رد على المسلمين قطائع عثمان: «والله لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق»<sup>(٤)</sup>.

٢- يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن الحكم والمنصب ليس إلا وسيلة يستخدمها الحاكم لخدمة الناس و إحقاق الحق، ودحض الباطل لا أنه غاية لدرّ الأرباح، وقد إنتمز الإمام بهذه الرؤية إلى أبعد الحدود حتى نراه يجتنب عن إعطاء المهام الحساسة كالولاية وبيت المال إلى المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير، ولهذا السبب فقد أججوا نائرة الفتن، ورفعوا لواء العصيان ضد الإمام عليه السلام، وقال عليه السلام لما

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٢.

(٢) نهج البلاغة: خ ٣، الخطبة الشقشقية، وفي الحقيقة ليست خطبة وإنما هو حديث شجون مع ابن عباس.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٤) نهج البلاغة: ٩٩.

عاتبه البعض على التسوية بين المسلمين: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! والله ما أطورُ به ما سَمَرَ سمير وما أمَّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لى لسوَّيت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»<sup>(٢)</sup>.

٣- كانت لأمير المؤمنين ﷺ رؤيا عميقة في زهادة الحاكم وعيشة البساطة والعزوف عن الدنيا ذلك كي لا يؤثر هوى على هداية، وباطلاً على حق، ولا تغرّه الدنيا فيقضم مال الله، ويجعله دولاً ويتخذ من عباد الله خولاً.

لقد كان عزوفه عن الدنيا وزخارفها من أبرز خصائصه الذاتية، وسيرته الحكومية فقد كتب إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فقال له: «ألا وإن إمامكم قد اكتفي من دنياه بطمريه ثوبين خرقين، ومن طعامه بقرصيه، .... فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبى طمراً - أى ثوباً آخر-، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره، ولهى فى عينى أوهى من عفسة مِقرّة ... ولو شئت لاهتديت الطريق إلي مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبنى هواي، ويقودنى جشعى إلي تخير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثي، وأكباد حري، أو أكون كما قال القائل:

حسبك داء أن تبيت بيطنة      حولك أكباد تحنُّ إلي القدِّ

أقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون أسوء لهم فى جشوبة العيش»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: خ ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة: خ ١٣١.

(٣) نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

٤- لم يكن أمير المؤمنين على منوال الزعماء والرؤساء حيث عندهم الغاية تبرر الوسيلة، إذ لم يتوصل إلى أهدافه الإلهية النبيلة بوسائل غير شرعية، ولهذا لم يقرّ معاوية من اليوم الأول لخلافته على ولاية الشام، على الرغم من أنّ البعض اقترح عليه إقراره إلى حين، ثم عزله في وقت أمكن لعلّي عزله إلا أنّ علياً عليه السلام لم يكن ليداهن الباطل على الحق، ولا يتوسّل به عليه، وقد كتب إلى معاوية بعد ما طلب الأخير إبقاءه على الشام، قال عليه السلام: «... وحاشي الله أن تلى للمسلمين بعدى صدرًا أو وردًا، أو أجرى لك علي أحد منهم عقدًا أو عهدًا»<sup>(١)</sup>.

٥- كان عليه السلام يراعي الأصول والضوابط في تعامله مع أعدائه ومخالفيه، دون أن يصادر حرياتهم، إلا إذا فعلوا ما يستوجب ذلك، ففي الأشهر الأولى من خلافته همّ طلحة والزبير بالخروج، من المدينة، بعد أن يؤسّس منه في الحصول على الولاية، وأقبلوا على الإمام، وقالوا: إنا نريد العمرة. فأذن لهما بالخروج فقال عليه السلام لبعض أصحابه: «والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة»<sup>(٢)</sup>.

يعكس هذا النص التاريخي أنّ الإمام لم يصادر حريتهما قبل أن يرفعا لواء العصيان على الرغم من علمه بما يضمران له.

وأيضاً لما خالف الخوارج إمامهم وأميرهم عليه السلام، إثر جهلهم وعنادهم، وسوء فهمهم اعتزلوا معسكر الإمام عليه السلام حين رجوعهم من صفين، وأقاموا معسكراً في النهروان، فخطبهم الإمام عليه السلام بعد أن كانت مخالفتهم سياسية، ولم تتعدى القيام بعمليات عسكرية بقوله: «أما أنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتُمونا، لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا»<sup>(٣)</sup>.

وبهذه الطريقة فقد سايروهم الإمام عليه السلام من منطلق القوة، إلى أن قاموا بنشر الرعب والخوف والإخلال بالأمن حينها اضطر الإمام إلى استعمال القوة بغية القضاء على فتنهم.

٦- على الرغم من أنّ الإمام عليه السلام كان ينصب عمالاً وولاءةً صالحين وكفوئين، إلا أنه كان لا يحرمهم من نصائحه ومواعظه، على الرغم من انشغاله في الحوادث المتكاثرة عليه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً، كما كان له عيون على الولاية في مناطقهم ينقلون إليه كل مخالفة ولو جزئية

(١) نهج البلاغة: كتاب ٦٥.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢: ١٨٠.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٦: ٤١ حوادث سنة ٣٧.

للوالى فسرعان ما يبدأ بالتقريع والتوبيخ والتهديد فى بعض الأحيان لقمعها ومعالجتها، راجع قسم الكتب فى (نهج البلاغة) ترى ما كتبه لمالك الأشتر، ولمحمد بن أبى بكر، وعثمان بن حنيف، ولزىاد بن أبىه، ولغيرهم.

هذه بعض معطيات خلافة الإمام على ؑ التى ما عرف المسلمون بعد رسول الله ﷺ مثلها أبداً وكانت جميع الثورات التى ثارت على الدولتين الأموية والعباسية للوصول إلى حكومة الإمام على ؑ، وإلى عدالته التى تذوقها المسلمون فترة من الزمن، ثم غابت عنهم شمسها لتقصيرهم وجهلهم.

## القبس الخامس و العشرون

### على ؑ فى وقعة صفين

(١ صفر / السنة ٣٧ للهجرة)

كان ابتداء القتال بصفين فى أول يوم من صفر سنة (٣٧ للهجرة)، وذلك عند نهر الفرات فى وادي صفين قرب الرقة.

ويذكر المؤرخون أنه لما عزم أمير المؤمنين ؑ على المسير لقتال معاوية ومن معه من أهل الشام، خطب فى أصحابه، ومما جاء فى كلامه بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ:

«اتقوا الله - عباد الله - وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل. ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما فى يديه من حقى، ناكثاً لبيعتى، طاعناً فى دين الله عز وجل... فالعجب من معاوية بن أبى سفيان، ينازعنى الخلافة، ويجحدنى الإمامة ويزعم أنه أحقّ بها منى، جرأه منه على الله وعلى رسوله، بغير حق له فيها ولا حجة، لم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلم له الأنصار والمسلمون...» إلى أن قال ؑ: «اتقوا الله - عباد الله - وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لى منكم عصاة بعدد أهل بدر؛ إذا أمرتهم أطاعونى، وإذا استنهضتهم نهضوا معى، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى

## حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهاد المفروض»<sup>(١)</sup>.

### منع الماء:

وقد كشف معاوية عن نواياه العدائية، عندما بادر إلى الاستيلاء على الماء، وحال بينه وبين أهل العراق، فأضرّ بهم وبدوا بهم العطش، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام: «إنا لم نأت هذه الأرض لنسيطر على الماء والكلاء، ولو سبقناكم إليه، لا نمنعكم منه».

ولكن لم تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية من الطرف المقابل، ما اضطرّ علياً عليه السلام إلى استعمال القوة لإنقاذ عشرات الألوف ممن كان معه من الموت عطشاً، فأرسل الأشتر رضي الله عنه في كتيبة من عسكره فأظهروا من البسالة ما أبهر جيش معاوية وأجبرهم على الانسحاب، فاستعاد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الماء من أهل الشام.

وهنا ظهرت سماحة الإمام عليه السلام حيث حاول بعض أصحابه إقناعه أن يقابل أهل الشام بالمثل ويمنع عنهم الماء، فأبى عليه السلام عليهم أشدّ الإباء، فبقي الجيشان ينهلان من الماء على قدم المساواة، واستمرت جهود الإمام عليه السلام في حلّ النزاع سلمياً كما يظهر ذلك من أكثر المرويات في هذا المجال، ولكن جهود الإمام عليه السلام ذهبت سدى، بعد أن واصل أصحاب معاوية استفزازاتهم، وغاراتهم حتى أوقعوا في أصحاب الإمام عدداً من القتلى، عندها أذن الإمام بالقتال، وبدأت حرب بين الطرفين استمرت شهوراً وراح ضحيتها أكثر من مئة ألف من المسلمين، في فتنة أشعل نارها ابن هند لمآربه الخاصة.

### فتنة رفع المصاحف

تفاجأ معاوية ومن معه من بسالة أصحاب الإمام في الذود عن الحق الذي يمثله الإمام عليه السلام، وفيهم أكابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إن عمار بن ياسر رضي الله عنه كان ينادي: «والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل»، ونتيجة لذلك انهار عسكر معاوية، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً حتى إنه دعا بفرسه لينجو، فتذكر مستشاره عمرو ابن العاص، فلجأ إليه لينقذه من هذه الورطة فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الرماح فكان ما أراد وارتفعت الأصوات من ناحية عسكر معاوية: «يا أهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم

فهلّموا إلى العمل به».

فانطلت الحيلة على ضعاف النفوس والخونة المنبشرين في جيش علي عليه السلام، وضموا أصواتهم إلى أصوات أصحاب معاوية لمنع علي عليه السلام وأصحابه المخلصين من الاستمرار في القتال والقضاء على رأس الفتنة، حتى إنه جاء الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً له: «إن لم تحكم، قتلناك بهذه السيوف التي قتلنا بها عثمان».

فقال عليه السلام حينئذ: «لا رأى لمن لا يطاع»، وقال لأصحابه: «هذه كلمة حق يراد بها باطل، وهذا كتاب الله الصامت وأنا المعبر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق وذروا الحكم بكتاب الله الصامت إذ لا معبر عنه غيري»<sup>(١)</sup>.

ولما لم يرجع أصحابه إلى رأيه الذي تقدم ذكره، حتى إن نحواً من عشرين ألف مقاتل أحاطوا به مقنعين بالحديد وهم يقولون مهديين: «أجب القوم وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان».

وإزاء هذا الوضع الخطير، لم يجد أمير المؤمنين عليه السلام أمامه إلا خيارين أحلاهما مر: إما المضي بالقتال، وهذا يعني أنه سيقا تل ثلاثة أرباع جيشه وأهل الشام بأجمعهم، وإما القبول بالتحكيم وهو أهون الشرين، فاختره على مضض.

## التحكيم

ولم تكن مرحلة التحكيم بأيسر من مرحلة القتال على أمير المؤمنين عليه السلام. فبعد أن اجتمعت كلمة أهل الشام على اختيار عمرو بن العاص كمندوب لهم للتفاوض، اختلف أهل العراق مع علي عليه السلام على اختيار مندوب لهم، فقد كان رأيه عليه السلام وعدة من أصحابه اختيار أحد الثلاثة عبد الله بن عباس، أو مالك الأشتر، أو الأحنف بن قيس، وكانوا من أفضل المرشحين.

ولكن الكثرة الغالبة من ضعاف النفوس التي انطلت عليهم خديعة رفع المصاحف، رفضوا هؤلاء الثلاثة ورشحوا أبا موسى الأشعري، الذي رفض الإمام عليه السلام ترشيحه لانحرافه عنه، ولكنهم ضغطوا على الإمام عليه السلام فخشي الإمام أن تدب الفتنة مرة أخرى في صفوف جيشه فاضطر لقبول مرشحهم، فكانت النتيجة بلا ريب لغير صالحه، وعند اجتماع الطرفين للاتفاق على بنود التحكيم ظهرت نوايا معاوية المبيتة، عندما رفض إدراج صفة أمير المؤمنين خلف اسم الإمام عليه السلام حيث جاء في الكتب

المعتبرة أنهم حينما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: «هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، ولا تسمّه بإمرة المؤمنين، فإنما هذا أمير هؤلاء وليس بأمرنا، فقال له الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم، فإني أتخوّف إن محوته لا يرجع إليك أبداً.

فامتنع أمير المؤمنين ﷺ من محوه فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار، فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم...

فقال أمير المؤمنين ﷺ: «الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله إنني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية وقد أُملي علي: هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال له سهيل: امح رسول الله، فإننا لا نقر لك بذلك، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسم أبيك، فامتنعت من محوه»، فقال النبي ﷺ: «امحه يا علي، وستدعي إلي مثلها فتجيب وأنت علي مضض...»<sup>(١)</sup>.

وتمّ الكتاب بين الطرفين ووقعه من كل منهما عشرة من قادتهم ووجهائهم، ويتلخص مضمونه بأن يقفوا عند أحكام الله ويرجعوا إلى حكم الكتاب فيما يختلفون فيه، وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب، والتزم علي ومعاوية ومن يتبعهما من المؤمنين والمسلمين بما يحكم به الحكماء، وأن يجتمع الحكماء في مكان بين الشام والحجاز يدعى (دومة الجندل)، وأن لا يحضر معهما إلا من أَرادوه، وأن يعمل الطرفان على توفير الجو المناسب لهما خلال اجتماعهما وفيما بعده. ومن الغريب أنه لم يرد في نص الوثيقة أي ذكر لأسباب الصراع وموضوعه الحقيقي من قريب أو بعيد، في حين أن أسباب الصراع واضحة لأن معاوية كان قبل معركة الجمل يطالب بمحاكمة أولئك الذين قتلوا عثمان أو تسليمهم إليه ليتولّى القصاص منهم، وبعد تمرّد السيدة عائشة وطلحة والزبير تعزّز موقفه وأصبح يطالب بإعادة الخلافة شورى بين المسلمين على أن يكون له رأي في ذلك، وقد ردّ علي ﷺ على طلبه الأول بأن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ثم يحاكم القوم إليه ليقتصّ لعثمان من قاتليه إذا أدينوا بجريمة توجب القصاص، وردّ ﷺ على طلبه الثاني، بأنّ خلافته قد تمّت بإجماع أهل الحرمين الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة من قبله، بل بايعه جميع الأمصار ما عدا الشام.

وتشير بعض الروايات إلى أن إقصاء أمير المؤمنين عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه لدى الطرفين،

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٣١٦.



ولكن الخلاف كان على البديل، فقد اقترح أبو موسى الأشعري عبد الله بن عمر بن الخطاب، فردّ عليه ابن العاص بأن عثمان بن عفان قتل مظلوماً ومعاوية وليه.

ولم يُبدِ أبو موسى أية ملاحظة حول هذه الناحية، ومضى ابن العاص يغريه بالسلطة إن هو وافق معه على أن تكون الخلافة لمعاوية.

وبعد حوار طويل بين الطرفين استطاع ابن العاص أن يخدعه فأظهر له موافقته على إقصائهما معاً وترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يريدون، وكان ما أراده ابن العاص فخلع أبو موسى علياً وأثبت ابن العاص معاوية.

وانتهت مهزلة التحكيم على هذا النحو كما يرويها المؤرخون. وهي نتيجة مفروغ منها بعد أن رفض كل اقتراحات الإمام عليه السلام ومناشداته، من قبل الكثرة التي غلب عليها الشيطان فأضل أعمالهم.

وقد نصّت المرويات على أنه أقام في صفين بعد إعلان الهدنة وكتابة بنود الاتفاق يومين أو ثلاثة مشغولاً بتهذئة الخواطر والنفوس، ودفن القتلى من أصحابه، ثم خرج بعدها متوجهاً إلى الكوفة ليواجه مشاكل جديدة.

## القبس السادس والعشرون

### على عليه السلام في النهروان

(٩ صفر / السنة ٣٨ للهجرة)

النهروان موقع بين بغداد وحلوان من محافظة في العراق بعد بعقوبة إلى خانقين، وفيها جرت الواقعة المعروفة بين الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج.

والخوارج، هم الذين أنكروا التحكيم الذي وقع بعد معركة صفين، واتخذت حركتهم بعد أن تحرك موكب الإمام من صفين شكلاً جديداً، فاعترفوا بخطئهم في قبول التحكيم وأعلنوا توبتهم وجاءوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلبون منه أن يتراجع ويتوب كما تابوا. فلم يستجب لطلبهم لأنه لم يخطئ إنما خالفوا أمره الذي تابوا إليه الآن، فانفصلوا عنه قبل أن يدخل الكوفة في مكان يدعى حروراء، ومن أجل ذلك سمّاهم المؤرخون بالحرورية<sup>(١)</sup>، وسمّوا بالخوارج لأنهم خرجوا على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رفعوا شعاراً: «لا حكم إلا لله».

بعد أن رفع الخوارج شعارهم ذلك، حاورهم أمير المؤمنين عليه السلام بالتي هي أحسن وفند معتقداتهم وآراءهم، إلا أنهم لم يصغوا إلى توجيهات أمير المؤمنين عليه السلام واستمروا في غيهم، وتعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المتممين إلى معسكر الإمام علي عليه السلام، بالإضافة إلى الإمام عليه السلام ورأوا استباحة دمائهم!

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً، ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكن هذه الفئة الخارجة عن الطاعة المارقة عن الدين تمادت في غيها فقامت بقتل الأبرياء وتهديد أمن البلاد، وقد قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب وبقرؤا بطن زوجته الحامل، كما قتلوا نسوة من طي، وعندما أرسل إليهم الإمام عليه السلام الحارث بن مرّة العبدى ليتعرف على حقيقة موقفهم، قتلوا رسول أمير المؤمنين عليه السلام، وعندها كرّ عليه السلام راجعاً من الأنبار (حيث كان اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام) وتوجه إلى قتالهم، والتقى الجيشان فأمر الإمام عليه السلام أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا القتال، فتنادى الخوارج من كل جانب: «الروح إلى الجنة»، وشهروا السلاح على أصحابه وأثخنوهم بالجراح، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام، وشدّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فما هي إلا سويغات حتى صرعهم الله كأنما قيل

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ٤٤١.

لهم: موتوا فماتوا..

ومن كرامات أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الواقعة أنه كان قد أخبر أصحابه قبل المعركة بأنه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، وكان الأمر كما أخبرهم، فلم ينج منهم إلا تسعة أو ثمانية، ولم يقتل من أصحابه إلا تسعة كما روى ذلك أكثر المؤرخين.

وهنا يروي المؤرخون حديث المٌخدَج المعروف بـ(ذي الثديّة)، أحد القتلى في هذه المعركة، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الخوارج وقتل المٌخدَج معهم، لذلك فإنه بعد انتهاء المعركة فتش عنه وألحّ في طلبه حتى وجدوه بين القتلى، وهو يقول عليه السلام: «والله ما كَذبت ولا كُذبت»<sup>(١)</sup>، فكانت من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام الباهرة التي أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكارهون.

---

(١) أشار إلى نحوه أبو يعلى في (مسنده) ١: ٣٧١-٣٧٤، وابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٢: ٢٧٦، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٤١: ٢٨٣، ورواه المفيد في (الإرشاد) ١: ٣٧١.

## قبس الشهادة

### الإمام على شهيد المحراب عليه السلام

(٢١ رمضان / السنة ٤٠ للهجرة)

الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان المبارك من سنة أربعين ليلة الأربعاء أو الجمعة<sup>(١)</sup> كان الإمام عليه السلام في دار ابنته أم كلثوم،<sup>(٢)</sup> فقدمت له فطوره في طبق فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن فاتر، وملح، فأمر الإمام ابنته أن ترفع اللبن وقال لها: «يا بنية أتريدين أن يطول وقوف أبوك بين يدي الله فتلونين له الطعام»، وأفطر بالخبز والملح ولم يشرب من اللبن شيئاً، لأن في الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وقام إلى الصلاة، ولم يزل راکعاً وساجداً ومبتهاً ومتضرعاً إلى الله تعالى، وسهر الإمام (عليه السلام) في ليلة مقتله التاسع عشر من شهر رمضان بل وأسهر أهله، وكان من عادته سابقاً أن يخرج إلى المسجد لصلاة الليل، ففي تلك الليلة لم يخرج على عادته، وكان يكثر الخروج من البيت إلى صحن الدار فينظر في أطراف السماء ويقول: «والله ما كذبت ولا كُذبت! وإنها الليلة التي وعدت بها»<sup>(٣)</sup>، ثم رقد هنيئاً وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه، وهو يقول: «اللهم بارك لنا في لقاءك»، ويكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ثم صلى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثم نامت عيناه وهو جالس، فانتبه من نومه مرعوباً فقال لأولاده: «إنى رأيت الساعة رسول الله ﷺ في منامي، وهو يقول لى: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها، فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا في العشر الآخر من رمضان فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى»، فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، قالت أم كلثوم: لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثم يخرج ساعة بعد ساعة، يقرب طرفه في السماء، وينظر في الكواكب وهو يقول: «والله ما كذبت ولا كُذبت وإنها الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله»، ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لى فى الموت، ويكثر من قول: «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ويصلي على النبي ﷺ، ويستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم فلما رأيته في تلك الليلة قلنا متملماً كثير الذكر والاستغفار أرقمت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه مالي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل فى قلبى رعب أكثر مما دخل فى هذه الليلة ثم قال: «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ».

(١) مقاتل الطالبين: ٢٠ عن أبي مخنف، وما اختاره المفيد في الإرشاد ١: ١٩.

(٢) الإرشاد ١: ١٦ عن الحسن البصري! وفيه: ابنته أم كلثوم! وقد توفيت في عهد عثمان، فهي زينب والتي كانت تكنى بأم كلثوم.

(٣) الإرشاد ١: ١٦.

فقلت: يا أبتاه، ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل، قالت أم كلثوم: فبكيت فقال لي يا بنية لا تبكى فإننى لم أقل ذلك إلا بما عهد إلى النبي ﷺ، ثم إنه نعس وطوى ساعة، ثم استيقظ من نومه وقال: يا بنية إذا قرب الأذان فأعلمينى، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الأذان فلما لاح الوقت أتيته ومعى إناء فيه ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح الباب ثم نزل إلى الدار وفيها إوز قد أهدي إلى أخي الحسين (عليه السلام) فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكن قبل تلك الليلة لم يصحن، فقال (عليه السلام) لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح<sup>(١)</sup>، وفي غداة غد يظهر القضاء، فقلت يا أبتاه هكذا تطير، فقال (عليه السلام) بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به، ولكن قول جري علي لسانى، ثم قال يا بنية حبست ما ليس له لسان ولا يقدر علي الكلام فإذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول:

حيازيمك<sup>(٢)</sup> للموت فإن الموت لافيكا      ولا تجزع من الموت إذا حل بوادিকা

كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبيكيكا<sup>(٣)</sup>

ثم قال (عليه السلام): «اللهم بارك لنا فى الموت، اللهم بارك لى فى لقاءك»، قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة، قال يا بنية ما هو بنعاء، ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضا، ثم فتح الباب وخرج، قالت أم كلثوم: فجئت إلى أخي الحسن (عليه السلام) فقلت: يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحقه، فقام الحسن بن علي (عليه السلام) وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع». أما عدو الله عبد الرحمن بن ملجم فكان على رأي الخوارج، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها، في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداء لأمير المؤمنين، وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وطلبت منه ثلاثة آلاف ديناراً وعبداً وقينة «جارية»:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماعة      كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة ألف وعبد وقينة      وضرب علي بالحسام الممصم

وقد جاء عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر، ومجيء الإمام للصلاة، وهو يفكر بالجريمة العظمى التي قصد ارتكابها، ومعه رجلان شبيب بن بحرة ووردان بن مجالد يساعده على قتل الإمام (عليه السلام)<sup>(٤)</sup>.

(١) الإرشاد : ١٧ .

(٢) هنا زيادة كلمة : أشدد ، وهي زيادة على الوزن الشعري وليس من الضروري ، بل هي مضمرة مقدرة .

(٣) الإرشاد ١ : ١٦ ، وأنساب الأشراف ٢ : ٤٠٠ الحديث ٥٧٢ .

(٤) راجع تاريخ الطبري ٥ : ١٤٤ - ١٤٥ .

## فزت ورب الكعبة

وسار الإمام علي عليه السلام إلى المسجد واتجه إلى المحراب وقام يصلي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام المجرم الشقي لإنجاز جريمته الكبرى! وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يصلي عندها فأملهه حتى صلى الركعة الأولى، وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين، وأخذ السيف وهزه، ثم ضربه على رأسه الشريف، وهو يقول الحكم لله لا لك يا علي، ولا لأصحابك! ، وسمع الإمام يقول : لا يفوتنكم الرجل . وهرب القتلة نحو الباب يفرون ، وتبادر الناس لأخذهم<sup>(١)</sup> ونادى الإمام (عليه السلام) : **فزت ورب الكعبة**<sup>(٢)</sup>. وتقدم الحسن عليه السلام فصلى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام صلى إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته، يميل تارة ويسكن أخرى.

وأجرم ابن ملجم إجرامه في الظلام وخرج من المسجد الجامع مخترباً سيفه ، وخرج نافع بن عتبة المنبهي أو رجل من همدان<sup>(٣)</sup> من أهله إلى المسجد وانتهى إلى باب كندة منه فإذا هو بابن ملجم خارجاً مخترباً سيفه ، فعلم بجرمه ، وكان طيلسانه بيده أو قطيفة فضربها على وجهه وهجم عليه فانتزع السيف من يده ، ثم قادوه إلى المسجد، وانصرف الناس من صلاتهم فتواثبوا إليه كأ نهم السباع ينادونه : يا عدو الله ما صنعت ! لقد قتلت خير الناس وأهلك الأمة ! وهو ساكت لا ينطق بكلمة ! والناس في ضوضاء يقولون : قتل أمير المؤمنين ! حتى أوقفوه بين يديه فقال (عليه السلام) : احبسوه ، فإن أمت من جراحتي هذه فهو في أيديكم ، نفس بنفس فاقتلوه ، وإن أعش وأبرأ أرى فيه رأيي<sup>(٤)</sup> !

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة، وحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدورهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره، وقد شدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده والحسن يبكي، فقال له الإمام عليه السلام : يا بني ما هذا البكاء، يا بني لا روع علي أبيك بعد اليوم؟ يا بني أتجزع علي أبيك، وغداً تقتل بعدى مسموماً مظلوماً ويقتل أخوك بالسيف؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما

(١) مقاتل الطالبين : ٢١ ، والإرشاد ١ : ٢٠ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٤٦ عن أبي مخنف .

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٤٠٠ ، الحديث ٥٧٢ عن المدائني ، وفي : ٣٩٠ ، الحديث ٥٦٨ عنه عن الشعبي ، ومناقب الحلبي ٣ : ٣٥٧ . يقول المؤرخ المعاصر الشيخ هادي اليوسفي الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي ٥:٤١٥ : « وهنا خبر يذكر : « اصطفقت أبواب الجامع ... وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادى جبرئيل (عليه السلام) بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهدمت والله أركان الهدى ..... إلى قوله : فلما سمعت أم كلثوم أقبلت إلى أخويها الحسينين فأيقظتهما وقالت « . مما هو باطل قطعاً وقد نقله العلامة المجلسي ، عن بعض الكتب القديمة! نسب إلى أبي مخنف! وأضاف المجلسي : هذا الخبر غير صحيح وكتبناه كما وجدناه ! هذا ولم أجد غيره أي مصدر له (راجع بحار الأنوار ٤٢ : ٢٥٩) .

(٣) الارشاد ١ : ٢١ ، وقيل : أخذه المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب وهو صاحب القطيفة ، (مقاتل الطالبين : ٢١) .

(٤) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا : ٣٧ - ٣٨ ، الحديث ١٤ و ١٥ و ١٦ ، وأنساب الأشراف ٢ : ٣٩٧ ، الحديث ٥٦١ .

وأكمما؟

ثم أمر أن يحملوه إلى منزله فلما اقتربوا من منزل الإمام (عليه السلام) خرجت زينب فنظرت إلى أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) محمول على الأكتاف فنادت: «وا أبتاه واعلياه»<sup>(١)</sup>.

### يوم شهادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

يوم الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠ للهجرة) هو يوم استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إثر الضربة بالسيف المسموم التى ضربه ابن ملجم علي أم رأسه فى ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وبقي الإمام فى فراشه ثلاثة أيام وكان قد اصفرَّ لونه من أثر الضربة، ولما قرب أجله أخذ يوصى أهله وأصحابه بجملة من الوصايا، وقد أوصى الأمام إلي ابنه الحسن وأشهد عليه أهل بيته وجميع ولده ومنهم الحسين ومحمد، ورؤساء شيعة، وهى وصايا خالدة لكل أتباعه وشيعته (عليه السلام)، لقد روى الهاللى العامرى فى كتابه أنه شهد الإمام (عليه السلام) حين دفع إليه سلاحه وكتبه وقال له: يا بُنى، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما أوصى إلىّ ودفع إلىّ كتبه وسلاحه أمرنى أن أوصى إليك وأدفع كتبى وسلاحى إليك، وأمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلي أخيك الحسين.

وكان ممن حضر مع الحسين ابنه علي بن الحسين صغيراً فأقبل علي (عليه السلام) على الحسين وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلي ابنك هذا وأخذ بيد ابنه علي بن الحسين، وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلي ابنك محمد، فاقرأه من رسول الله ومنى السلام. ثم عاد إلى ابنه الحسن وقال له: يا بُنى، أنت وليّ الأمر ووليّ الدم بعدي، فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة كان ضربة، ولا تمثّل به، ثم قال له: اكتب<sup>(٢)</sup>: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب: أوصى: أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله (أرسلَ رسولُهُ بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهرَهُ عليّ الدينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)<sup>(٣)</sup>» ثم (إنَّ صَلَاتِي وَتُسْكِى وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)<sup>(٤)</sup>.

(١) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) بالتفصيل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة: ٦: ١١٥ وج ٢٠: ٢٨٤، والمناقب لابن

شهر آشوب ٣: ٣١٠، وج ٤: ٩٣، روضة الواعظين: ١٣٢، بحار الأنوار ٤٢: ٢٧٥، ب ١٢٧.

(٢) أملاً الوصية الإمام على الحاضرين وكتبها كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، (مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٤٨، الحديث ٣١ عن

الكلبي عن الباقر (عليه السلام)

(٣) التوبة: ٣٣، والصف: ٩.

(٤) الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

ثم أوصيك - يا حسن ، وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين - بتقوى الله ربكم ( فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ )<sup>(١)</sup> ، ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا )<sup>(٢)</sup> فَإِنِّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم ، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين » ولا قوة إلا بالله ، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب .

والله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ، ولا تضيعوا من بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة ، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار » .

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم .

والله الله في جيرانكم ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بهم .

ولله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم ، فإنه إن يترك لم تناظروا ، وإن أدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما قد سلف .

والله الله في الصلاة فإنها خير العمل ، وإنها عمود دينكم .

الله الله في الزكاة فإنها تطفي غضب ربكم .

والله الله في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار .و

الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معيشتكم .

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان : إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه .

والله الله في ذرية نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرن على الدفع عنهم !

و

الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً ! فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بهم ، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث !

(١) البقرة : ١٣٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .



والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم ! ولا تخافن في الله لومة لائم فيكفيكم الله وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله . ولا تتركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلي الله الأمر أشراركم فتدعون فلا يستجاب لكم !

يا بُنَيَّ ، عليكم بالتواصل والتبادل والتبار ، وإياكم والنفاق والتقاطع ، والتدابير والتفرق ، و ( تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ )<sup>(١)</sup> . حفظكم الله من « أهل بيت » وحفظ فيكم نبيكم . أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام<sup>(٢)</sup> .

ولما حضرته الوفاة قال للحسن والحسين : إذا أنا متّ ( فضعاني ) على سريري واحملا مؤخر السرير فإنكما تكفيان مقدمه ( حتى تبلغا ) بي الغريين<sup>(٣)</sup> فتريان صخرة بيضاء تلمع نوراً ! فاحتفرا فيها ، فإنكما تجدان فيها ( خشبة ) ساجدة ، فادفنا فيهما<sup>(٤)</sup> .

ثم عرق جبين الإمام (عليه السلام) وسكن أنينه، فقالت زينب: يا أبة أراك عرق جبينك، وسكن أنينك، قال ﷺ: يا بنية سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وسكن أنينه، فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها، وقالت: يا أبة حدثني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمع منك، فقال ﷺ: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك ونساء أهلك سبايا بهذا البلد فصبراً صبراً.

ثم نظر إلى أولاده فرأهم تكاد ترهق أرواحهم من شدة البكاء والنحيب فقال لهم: « أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد ﷺ كما وعدني فإذا أنا مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله ﷺ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم وضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم علي مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، وصلى عليّ يا بني حسن وكبر عليّ سبعا واعلم أنه لا يحل ذلك عليّ أحد غيري إلا عليّ رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت عليّ فنج السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً منقوباً، وساحة منقوبة، فضعني فيها ثم اشرح اللحد باللبن، وأهل التراب عليّ، ثم غيب قبري<sup>(٥)</sup> .

(١) المائدة : ٢ .

(٢) كتاب سليم بن قيس ٢ : ٩٢٤ - ٩٢٧ ، الحديث ٦٩ ، وفي نهج البلاغة ك ٤٧ ، وفي فروع الكافي ٧ : ٥١ عن الإمام الكاظم (عليه السلام) كما عنه في بحار الأنوار ٤٢ : ٢٤٨ .

(٣) الغريان تشية الغري وهو فعل بمعنى المفعول من الغري أي الطلاء والصنع ، وهما قبران قائمان لنديمي المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة المقتولين بأمره سكراناً ، قبل الإسلام ، في النجف بظهر الكوفة، معجم البلدان ٤ : ١٩٨ . والنسبة إليها : الغروي ، واصطلح بها على أهل العلم منها ، واصبح واشتهر الغري إسماً آخر للنجف الأشرف .

(٤) الإرشاد ١ : ٢٣ - ٢٤ .

(٥) مقاتل الطالبين ٢٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٧ ، ٥ : ٤٧ .

ثم أخذ الإمام يودع أولاده الواحد بعد الآخر، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، وقال هذا رسول الله ﷺ وعمي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فإننا إليك مشتاقون، ولما دنت وفاته قال يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأنكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا، وهاهنا فاصبرا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين، ثم قال يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته وقال استودعكم الله جميعاً، وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة.

### شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) <sup>(١)</sup>

ولم يزل أمير المؤمنين (عليه السلام) بتلك الحال يسبح الله ويذكر الله تعالى كثيراً، ثم استقبل القبلة وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفقا بي ملائكة ربي»، ثم عرق جبينه وسكن أنينه، وغمض عينيه، ومد رجله ويديه، وقضى نحبه شهيداً <sup>(٢)</sup>.

و أقبل الناس رجالاً ونساء نحو بيت الإمام، وهم ينادون وإمامنا، واعلياه، فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله ﷺ، قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا بجهازه ليلاً، وكان الحسن (عليه السلام) يغسله، والحسين (عليه السلام) يصب الماء عليه، وكان لا يحتاج إلى من يقبله، بل كان ينقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم نادى الإمام الحسن (عليه السلام) أخته زينب وقال يا أختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله ﷺ، ثم لفوه بخمسة أثواب ووضعوه على السرير، وأخذ الحسن (عليه السلام) يصلي على أبيه (عليه السلام) بالناس، وحمل السرير هو والحسين (عليه السلام) وسائر بني هاشم، وتوجه به حسب وصية أمير المؤمنين حتى وصلوا إلى النجف، فوضع مقدم السرير، فوضع الحسنان مؤخره، ثم وجدوا حجراً كتب عليه: «هذا ما ادخره آدم ونوح للعبد الصالح علي بن أبي طالب» فلما كشفوا عن القبر وأرادوا إنزاله سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، وانتهى الدفن قبل الفجر وأخفوا قبره كما أوصى به، لأنه (عليه السلام) كان يعلم عداوة الخوارج والأعداء له، وكان القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وخواص شيعتهم إلى أيام هارون الرشيد <sup>(٣)</sup>.

(١) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكامل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة ٦: ١١٥ وج ٢٠: ٢٨٤، والمناقب لابن

شهر آشوب ٣: ٣١٠، وج ٤: ٩٣، روضة الواعظين ١٣٢، بحار الأنوار ٤٢: ٢٧٥، ب ١٢٧.

(٢) قال البيهقي: أقام الإمام (عليه السلام) بعد ضربته يومين، وتوفي في أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين، أربعين، ومن شهور العجم في كانون الثاني (اليوناني) وهو ابن ثلاث وستين سنة. وغسله الحسن (عليه السلام) بيده، وصلى عليه وكبر سبعاً وقال: أما إنه لا يُكَبَّر (سبعاً) على أحد بعده، ودفن (بظهر) الكوفة في موضع يقال له الغري، (تاريخ البيهقي ٢: ٢١٢)، وقال ابن قتيبة: وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، وكُفِّن في ثلاثة أثواب بلا قميص، وصلى عليه ابنه الحسن. وعمى قبره مخافة أن تنبشه الخوارج <sup>(٢)</sup>، (الإمامة والسياسة ٢: ١٦١)، وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده بسنده عن أبي مخنف: أنه (عليه السلام) توفي في ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، ودفن... عند صلاة

الصبح <sup>(٣)</sup>، (مقاتل الطالبين ٢٥)، ولتحقيق تاريخ الوفاة انظر قاموس الرجال ١٢: الرسالة ٢٨ - ٣١.

(٣) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٥ ح ٥٨.

وبلغ نعي الإمام (عليه السلام) في الشام إلى معاوية وهو متكئ في مجلسه ، فاستوى جالساً والتفت إلى مغنيته وقال لها : يا جارية غنّيني فاليوم قرّت عيني ، ولعلّ هذا أثار أبا الأسود الدؤلي البصري فقال معروضاً به :

ألا أبلغ معاوية بن حرب      فلا قرّت عيون الشامتينا  
قتلتهم خير من ركب المطايا      وأكرمهم ومن ركب السفينا<sup>(١)</sup>

نعم قد قتلوا من كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وكان أبا حنوناً لهذه الأمة<sup>(٢)</sup> ، وقد فجعت وتيتمت هذه الأمة بمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) في شهر الصيام ، فيحق لجميع المسلمين بالأخص المواليين لعلي (عليه السلام) أن يبكوا عليه ، لأنهم فقدوا إماماً عادلاً صادقاً برّاً تقياً :

ألا يا عين جودي فاسعدينا      ألا فأبكي أمير المؤمنين  
إمامٌ صادقٌ برٌّ تقيٌّ      فقيهٌ قد حوى علماً ودينا  
وكنا قبل مقتله بخير      نرى المولى رسول الله فينا  
فلا والله لا أنسى علياً      وحسن صلاته في الراكعينا  
أفي شهر الصيام فجعثمونا      بخير الناس طُرّاً أجمعينا<sup>(٣)</sup>  
وتبكي أم كلثوم عليه      بعبرتها وقد علت الحنينا

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٥٠ - ١٥١ ، وفي ديوانه : ٣٢ ، أنساب الأشراف ٢ : ٤٠٩ ، الحديث ٥٩٢ .

(٢) حيث قال رسول الله ﷺ : « أنا وعلي أبو هذه الأمة » (عيون أخبار الرضا ٢ : ٨٥ ، ٢٢ ، كمال الدين ٢٦١ : ١ ، ٢٤ ، بحار الأنوار ٩٥ : ٢١٦ ، ٦ ، ١١) .

(٣) من قصيدة تنسب إلى الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، (تاريخ الطبري ٥ : ١٥٠ ، أنساب الأشراف ٢ : ٤٠٩ ، الحديث ٥٩٢) .

قبس الختام

### مقتطفات من القصيدة الكوثرية

هذه القصيدة من أروع وأشهر ما قيل في مدح الإمام علي عليه السلام وسبب شهرتها على ما يبدو هو مدى الإبداع الفني الأسلوبى الذي يبدو واضحاً على قسّمات القصيدة، واسمها من أجمل التسميات للقصائد.

والقصيدة الكوثرية التي نظمها الشاعر السيد رضا الهندي سميت بالكوثرية نظراً لما جاء في البيت الثاني منها وهو قوله:

قَد قال لِثَغْرِكَ صانِعُهُ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

والقصيدة الكوثرية تبدأ أولاً بمدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ثم تنتهي إلى الغرض الأساس فيها وهو مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بأسلوب شيق.

أَمْفَلَجُ<sup>(١)</sup> ثَغْرَكَ أَمْ جَوْهَرُ  
و رَحِيقُ رِضابِكَ<sup>(٢)</sup> أَمْ سُكَّرُ

قَد قال لِثَغْرِكَ صانِعُهُ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

والخالُ بِخَدِّكَ أَمْ مِسْكُ  
نَقَطَتْ بِهِ الْوَرْدَ الْأَحْمَرُ

أَمْ ذَاكَ الْخَالَ بِذَاكَ الْخَدِّ  
فَتَيْتُ النَّدَّ<sup>(٣)</sup> عَلَى مَجْمَرُ

عَجَباً مِنْ جَمَرَتِهِ تَذَكُّو<sup>(٤)</sup>  
وبها لا يحترقُ العنبرُ

---

(١) المفلج من الأسنان: المنفرجة.

(٢) الرضاب: اللعاب.

(٣) الند: عودٌ عطريٌّ يتبخّر به.

(٤) تذكو: تتوقد وتلتهب.

يا مَنْ تبدو لي وفرتُهُ<sup>(١)</sup>

في صُبحِ محيَاهُ<sup>(٢)</sup> الأزهرُ

فأجنُّ به بـ ﴿الَّيْلِ إِذَا

يَغْشَى﴾ و﴿الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرُ﴾

\* \* \*

يا مَنْ قد أنكرَ من آياتِ

أبي حَسَنٍ ما لا يُنكرُ

إن كُنْتَ لِجَهْلِكَ بالأيامِ

جَحَدْتَ مَقَامَ أَبِي شُبْرُ

فأَسْأَلُ بدراً وأَسْأَلُ أحداً

وَسَلِّ الأحزابَ وَسَلِّ خَيْرُ

مَنْ دَبَّرَ فيها الأمرَ وَمَنْ

أردى الأبطالَ وَمَنْ دَمَّرَ؟

مَنْ هَدَّ حُصُونَ الشِّرْكِ وَمَنْ

شَادَ الإسلامَ وَمَنْ عَمَّرَ؟

مَنْ قَدَّمَ طهَ وعلى

أهل الإسلامِ له أَمْرُ؟

قاسُوكَ أبا حَسَنٍ بِسِوَاكَ

وهل بالطُّودِ يُقاسُ الذَّرُّ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

مَنْ غَيْرُكَ يُدْعَى لِلْحَرْبِ

وَلِلْمِحْرَابِ وَلِلْمَنْبَرِ؟

---

(١) الوفرة: شعر الرأس الكثيف.

(٢) المحيّا: جبهة الوجه.

(٣) الذر: الدقائق الصغيرة.

أفعالُ الخيرِ إذا انتشرت

في الناسِ فأنتَ لها مصدرُ

وإذا ذُكِرَ المعروفُ فما

لسواكَ به شيءٌ يُذكرُ

أحييتَ الدينَ بأبيضٍ<sup>(١)</sup> قد

أودعتَ به الموتَ الأحمرُ

قُطِباً للحربِ يُديرُ الضربَ

ويَجْلُو الكَرْبَ بيومِ الكَرْ

فأصدعَ بالأمرِ فناصرُك

البَّارُ وشانُك الأبتَرُ

\* \* \*

أنتَ المُهتَمُّ بحفظِ الدينِ

وغيرُك بالدنيا يَغْتَرُ

أفعالكُ ما كانتَ فيها

إلا ذكرى لَمَن اذْكَرُ

حُجْجاً ألزمتَ بها الخصماءَ

وتبصرةً لَمَن استبصرَ

آياتُ جلالِكَ لا تُحصى

وصفاتُ كمالك لا تُحصَرُ

مَنْ طَوَّلَ فيكَ مدائِحَه

عن أدنى واجبها قَصَّرُ<sup>(٢)</sup>

فأقبل يا كعبةَ آمالي

من هدى مديحي ما استيسرُ

\* \* \*

(١) أبيض: صفة من صفات السيف.

(٢) قصّر: لم يؤدِّ الواجب.

